

سلسلة سير الأئمة الأربعة

سيرة الإمام أحمد بن حنبل

سيرة مختصرة من كتاب سير أعلام النبلاء
للإمام الذهبي

اختصرها: محمد بن سليمان المهنا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الإمام أحمد بن حنبل ﴾

هُوَ: الإِمَامُ حَقًّا، وَشَيْخُ الإِسْلَامِ صِدْقًا، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَنْبَلٍ، الْمَرْوَزِيُّ، ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ، أَحَدُ الأئِمَّةِ الأَعْلَامِ.

كَانَ مُحَمَّدٌ وَالِدُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مِنْ أَجْنَادِ مَرْوٍ، مَاتَ شَابًّا، لَهُ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً.

وَرَبِّي أَحْمَدٌ يَتِيمًا، وَقِيلَ: إِنَّ أُمَّهُ تَحَوَّلَتْ مِنْ مَرْوٍ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ.

فَقَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: قَالَ لِي أَبِي: وُلِدْتُ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ.

قَالَ صَالِحٌ: جِيءَ بِأَبِي حَمَلٌ مِنْ مَرْوٍ، فَمَاتَ أَبُوهُ شَابًّا، فَوَلِيَتْهُ أُمَّهُ.



شيوخه

طَلَبَ الْعِلْمَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فِي الْعَامِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ مَالِكٌ، وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ.

فَسَمِعَ مِنْ هُشَيْمِ بْنِ بَشِيرٍ فَأَكْثَرَ وَجَوَّدَ. وَمِنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ الْهَلَالِيِّ، وَالْقَاضِي أَبِي يُوْسُفَ، وَجَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرِ، وَغُنْدَرٍ، وَابْنِ عَلِيَّةَ، وَيَزِيدَ بْنِ هَارُونَ.

وَسَمِعَ مِنْ وَكَيْعٍ - فَأَكْثَرَ - وَيَحْيَى الْقَطَّانِ - فَبَالَغَ - وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ، إِلَى أَنْ يَنْزَلَ فِي الرَّوَايَةِ عَنْ: قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ، وَعَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَقْرَانِهِ.

وعدد شيوخه الذين روى عنهم في (المُسْنَدِ): مائتان وثمانون ونيّف.



وَحَدَّثَ عَنْهُ: الْبُخَارِيُّ حَدِيثًا، وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ
عَنْهُ حَدِيثًا آخَرَ فِي الْمَغَازِي.

وَحَدَّثَ عَنْهُ: مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ بِجُمْلَةٍ وَافِرَةٍ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ أَيْضًا: وَلَدَاهُ؛ صَالِحٌ وَعَبْدُ اللَّهِ، وَابْنُ عَمِّهِ؛
حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَشَيْوُخُهُ؛ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَالشَّافِعِيُّ، لَكِنَّ
الشَّافِعِيَّ لَمْ يُسَمِّهِ، بَلْ قَالَ: حَدَّثَنِي الثَّقَةُ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ: عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَأَبُو
زُرْعَةَ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَأَمَمٌ سِوَاهُمْ.





صِفَتُهُ

قال مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّاسِ النَّحْوِيِّ: رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ حَسَنَ الْوَجْهِ، رُبْعَةً، يَخْضِبُ بِالْحِنَاءِ خِضَابًا لَيْسَ بِالْقَانِي، فِي لِحْيَتِهِ شَعْرَاتٌ سُودٌ، وَرَأَيْتُ ثِيَابَهُ غِلَظًا بِيضًا، وَرَأَيْتُهُ مُعْتَمًا، وَعَلَيْهِ إِزَارٌ.

وَقَالَ الْمَرْوُذِيُّ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِذَا كَانَ فِي الْبَيْتِ، عَامَّةً جُلُوسِهِ مُتْرَبِعًا خَاشِعًا. فَإِذَا كَانَ بَرًّا، لَمْ يَتَبَيَّنْ مِنْهُ شِدَّةُ خُشُوعٍ، وَكُنْتُ أَدْخُلُ وَالْجُزْءُ فِي يَدِهِ يَقْرَأُ.

وقال الميموني: مَا أَعْلَمُ أَنِّي رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْظَفَ بَدَنًا، وَلَا أَشَدَّ تَعَاهِدًا لِنَفْسِهِ فِي شَارِبِهِ وَشَعْرِ رَأْسِهِ وَشَعْرِ بَدَنِهِ، وَلَا أَنْقَى ثَوْبًا بِشِدَّةِ بِيَاضٍ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال عبد الله بن أحمد، قال لي أبي: خُذْ أَيَّ كِتَابٍ شِئْتَ مِنْ كُتُبِ وَكَيْعِ مِنَ الْمُصَنَّفِ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْأَلَنِي



عَنِ الْكَلَامِ حَتَّى أُخْبِرَكَ بِالْإِسْنَادِ، وَإِنْ شِئْتَ بِالْإِسْنَادِ حَتَّى
أُخْبِرَكَ أَنَا بِالْكَلَامِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: قَالَ لِي أَبُو زُرْعَةَ: أَبُوكَ
يَحْفَظُ أَلْفَ أَلْفِ حَدِيثٍ. فَقِيلَ لَهُ: وَمَا يُدْرِيكَ؟
قَالَ: ذَاكَرْتُهُ، فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الْأَبْوَابَ.

فَهَذِهِ حِكَايَةٌ صَحِيحَةٌ فِي سَعَةِ عِلْمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَكَانُوا
يُعَدُّونَ فِي ذَلِكَ الْمُكْرَّرَ، وَالْأَثَرَ، وَفَتْوَى التَّابِعِيِّ، وَمَا فَسَّرَ،
وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَالْأَلْفَ الْمُتُونَ الْمَرْفُوعَةَ الْقَوِيَّةَ لَا تَبْلُغُ عَشْرَ مِئَاتٍ ذَلِكَ.
قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، كَانَ اللَّهُ جَمَعَ لَهُ
عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

وَقَالَ ابْنُ رَاهَوِيَّةَ: كُنْتُ أُجَالِسُ أَحْمَدَ وَابْنَ مَعِينٍ،
وَنَتَذَاكِرُ، فَأَقُولُ: مَا فَفَهُهُ؟ مَا تَفْسِيرُهُ؟ فَيَسْكُتُونَ إِلَّا أَحْمَدَ.



قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ: كَانَ أَحْمَدُ قَدْ كَتَبَ كُتُبَ الرَّأْيِ
وَحَفِظَهَا، ثُمَّ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَمَّاسٍ: سَمِعْتُ وَكِيعًا وَحَفْصَ بْنَ
غِيَاثٍ يَقُولَانِ: مَا قَدِمَ الْكُوفَةَ مِثْلُ ذَلِكَ الْفَتَى، يَعْنِيَانِ: أَحْمَدَ
بْنَ حَنْبَلٍ.

قَالَ يَحْيَى الْقَطَّانُ: مَا قَدِمَ عَلَيْنَا مِثْلُ هَذَيْنِ؛ أَحْمَدَ،
وَيَحْيَى بْنَ مَعِينٍ، وَمَا قَدِمَ عَلَيَّ مِنْ بَغْدَادَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

وَقَالَ مُهَنَّابُ بْنُ يَحْيَى: قَدْ رَأَيْتُ ابْنَ عِيْنَةَ، وَوَكِيْعًا، وَعَبْدَ
الرِّزَّاقِ، وَالنَّاسَ. مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَجْمَعَ مِنْ أَحْمَدَ فِي عِلْمِهِ
وَزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: قَدِمْتُ
صَنْعَاءَ، أَنَا وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، فَمَضَيْتُ إِلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي



قَرِيَّتِهِ، وَتَخَلَّفَ يَحْيَى، فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَدُقُّ الْبَابَ، قَالَ لِي بِقَالَ
تُجَاهُ دَارِهِ: مَهْ، لَا تَدُقِّ، فَإِنَّ الشَّيْخَ يُهَابُ. فَجَلَسْتُ حَتَّى إِذَا
كَانَ قَبْلَ الْمَغْرَبِ، خَرَجَ، فَوَثَبْتُ إِلَيْهِ، وَفِي يَدِي أَحَادِيثُ
انْتَقَيْتُهَا، فَسَلَّمْتُ، وَقُلْتُ: حَدَّثَنِي بِهَذِهِ -رَحِمَكَ اللَّهُ- فَإِنِّي
رَجُلٌ غَرِيبٌ.

قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟

قُلْتُ: أَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

قَالَ: فَضَمَّنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: بِاللَّهِ أَنْتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ؟
ثُمَّ أَخَذَ الْأَحَادِيثَ، وَجَعَلَ يَقْرُؤُهَا حَتَّى أَظْلَمَ اللَّيْلُ.

قَالَ الرَّمَادِيُّ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّزَّاقِ، ذَكَرَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ،
فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ نَفَقَتَهُ نَفَدَتْ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ،
فَأَقَمْتُهُ خَلْفَ الْبَابِ، وَمَا مَعَنَا أَحَدٌ، فَأَعْطَيْتُهُ عَشْرَةَ دنانيرَ،
فَقَالَ لِي: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ قَبِلْتُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا، قَبِلْتُ مِنْكَ.



وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قُلْتُ لِأَبِي: بَلَّغْنِي أَنَّ عَبْدَ الرَّزَّاقِ عَرَضَ
عَلَيْكَ دَنَانِيرٌ؟

قَالَ: نَعَمْ، وَأَعْطَانِي يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ خَمْسَ مِائَةِ دِرْهَمٍ
- أَظُنُّ - فَلَمْ أَقْبَلْ.

قَالَ الْجَوْزَجَانِيُّ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يُصَلِّي بَعْدَ
الرَّزَّاقِ، فَسَهَا، فَسَأَلَ عَنْهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ
شَيْئًا مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ!

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ سِنَانَ الْقَطَّانُ: مَا رَأَيْتُ يَزِيدَ لِأَحَدٍ أَشَدَّ
تَعْظِيمًا، مِنْهُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَلَا أَكْرَمَ أَحَدًا مِثْلَهُ، كَانَ
يُقْعِدُهُ إِلَى جَنْبِهِ، وَيُوقِّرُهُ، وَلَا يُمَارِحُهُ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْقَهَ وَلَا أَوْرَعَ مِنْ أَحْمَدَ
بِ بْنِ حَنْبَلٍ.



قُلْتُ: قَالَ هَذَا، وَقَدْ رَأَى مِثْلَ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكٍ وَابْنَ جُرَيْجٍ.
وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ عَلِيَّةَ: أَنَّهُ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَقَالَ: هَا
هُنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قُولُوا لَهُ يَتَقَدَّمُ يُصَلِّي بِنَا.

وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ جَمِيلٍ الْحَافِظُ: إِنَّ عَاشَ أَحْمَدُ، سَيَكُونُ
حُجَّةً عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ.

وَقَالَ قُتَيْبَةُ: خَيْرُ أَهْلِ زَمَانِنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، ثُمَّ هَذَا الشَّابُّ
- يَعْنِي: أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ - وَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يُحِبُّ أَحْمَدَ،
فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

وَلَوْ أَدْرَكَ عَصْرَ الثَّوْرِيِّ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَاللَيْثِ، لَكَانَ هُوَ
الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ.

فَقِيلَ لِقُتَيْبَةَ: يُضْمُّ أَحْمَدُ إِلَى التَّابِعِينَ؟

فَقَالَ: إِلَى كِبَارِ التَّابِعِينَ.

قُلْتُ: قَدْ رَوَى أَحْمَدُ فِي (مُسْنِدِهِ) عَنْ قُتَيْبَةَ كَثِيرًا.



قَالَ الْمُزْنِيُّ: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: رَأَيْتَ بَغْدَادَ شَابًّا، إِذَا
قَالَ: حَدَّثَنَا، قَالَ النَّاسُ كُلُّهُمْ: صَدَقَ.

قُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟

قَالَ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

وَقَالَ حَرْمَلَةٌ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ،
فَمَا خَلَّفْتُ بِهَا رَجُلًا أَفْضَلَ، وَلَا أَعْلَمَ، وَلَا أَفْقَهَ، وَلَا أَتْقَى
مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، قَالَ: أَعَزَّ اللَّهُ الدِّينَ بِالصِّدِّيقِ يَوْمَ
الرِّدَّةِ، وَبِأَحْمَدَ يَوْمَ الْمِحْنَةِ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: إِنِّي لَا تَدِينُ بِذِكْرِ أَحْمَدَ، مَا رَأَيْتُ رَجُلًا
أَعْلَمَ بِالسُّنَّةِ مِنْهُ.

وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ: أَرَادُوا أَنْ أَكُونَ مِثْلَ أَحْمَدَ، وَاللَّهِ لَا أَكُونُ
مِثْلَهُ أَبَدًا.



قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَأَلْتُ أَبِي عَنِ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ
وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، أَيُّهُمَا أَحْفَظُ؟

فَقَالَ: كَانَا فِي الْحِفْظِ مُتَقَارِبَيْنِ، وَكَانَ أَحْمَدُ أَفْقَهُ، إِذَا
رَأَيْتَ مَنْ يُحِبُّ أَحْمَدَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَكْبَرُ مِنْ إِسْحَاقَ وَأَفْقَهُ،
مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْمَلَ مِنْ أَحْمَدَ.

وَقَالَ النَّسَائِيُّ: جَمَعَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ الْمَعْرِفَةَ بِالْحَدِيثِ
وَالْفِقْهَ وَالْوَرَعَ وَالزُّهْدَ وَالصَّبْرَ.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: كَانَتْ مَجَالِسُ أَحْمَدَ مَجَالِسَ الْآخِرَةِ، لَا
يُذَكَّرُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، مَا رَأَيْتُهُ ذَكَرَ الدُّنْيَا قَطُّ.

قَالَ ابْنُ سَلَمٍ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ نَصْرِ الْمَرْوَزِيَّ يَقُولُ:
صِرْتُ إِلَى دَارِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ مَرَارًا، وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَسَائِلَ،



فَقِيلَ لَهُ: أَكَانَ أَكْثَرَ حَدِيثًا أَمْ إِسْحَاقُ؟ قَالَ: بَلْ أَحْمَدُ أَكْثَرُ حَدِيثًا وَأَوْرَعُ، أَحْمَدُ فَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ.

قُلْتُ: كَانَ أَحْمَدُ عَظِيمَ الشَّانِ، رَأْسًا فِي الْحَدِيثِ وَفِي الْفِقْهِ، وَفِي التَّأَلُّهِ، أَتْنَى عَلَيْهِ خَلْقٌ مِنْ خُصُومِهِ، فَمَا الظَّنُّ بِإِخْوَانِهِ وَأَقْرَانِهِ؟!

وَكَانَ مَهِيْبًا فِي ذَاتِ اللَّهِ، حَتَّى قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: مَا هَبْتُ أَحَدًا فِي مَسْأَلَةٍ، مَا هَبْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ.





فصل في فضله وتأله وشمائله

صالح بن أحمد: دخلت على أبي يوماً أيام الواثق - والله يعلم على أي حال نحن - وقد خرج لصلاة العصر، وكان له لبث يجلس عليه، قد أتى عليه سنون كثيرة حتى بلي، وإذا تحته كتاب كاغد (أي قرطاس) فيه: بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق، وما عليك من الدين، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم، وما هي من صدقة ولا زكاة، وإنما هو شيء ورثته من أبي. فقرأت الكتاب، ووضعته، فلما دخل، قلت: يا أبي، ما هذا الكتاب؟ فأحمر وجهه، وقال: قد رفعتك منك.

ثم كتب إلى الرجل: وصل كتابك إلي، ونحن في عافية. فأما الدين، فإنه لرجل لا يرهقنا، وأما عيالنا، ففي نعمة الله. فلما مضت سنة أو نحوها، ذكرناها، فقال: لو كنا قبلناها، كانت قد ذهبت.



قال عبید القاري: دَخَلَ عَلَيَّ أَحْمَدَ عُمَهُ، فَقَالَ: يَا ابْنَ
أَخِي، أَيُّ هَذَا النِّعَمِ؟ وَأَيُّ هَذَا الْحُزْنِ؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ:
يَا عَمُّ، طُوبَى لِمَنْ أَحْمَلَ اللَّهُ ذِكْرَهُ.

قال صالح: رُبَّمَا رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ الْكِسْرَ، يَنْفُضُ الْغِبَارَ
عَنْهَا، وَيُصِيرُهَا فِي قِصْعَةٍ، وَيَصُبُّ عَلَيْهَا مَاءً، ثُمَّ يَأْكُلُهَا
بِالْمَلْحِ، وَكَانَ يَأْتِدُمُ بِالْخَلِّ كَثِيرًا.

وربما اعتلت فياخذ قدها فيه ماء، فيقرأ فيه، ثم يقول:
اشرب منه، واغسل وجهك ويديك.

وكان ربما خرج إلى البقال، فيشتري الحطب والشيء،
فيحمله بيده.

وكنتم أسمعه كثيرا يقول: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

وقال المرؤذي: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: مَا أَكْثَرَ الدَّاعِي لَكَ!
فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ يَكُونَ هَذَا اسْتِدْرَاجًا بِأَيِّ شَيْءٍ هَذَا؟



قَالَ الْمَرْوُذِيُّ: رَأَيْتُ طَبِيبًا نَصْرَانِيًّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِ أَحْمَدَ
وَمَعَهُ رَاهِبٌ، فَقَالَ: إِنَّهُ سَأَلَنِي أَنْ يَجِيءَ مَعِيَ لِيَرَى أَبَا عَبْدِ
اللَّهِ.

وَأَدَخَلْتُ نَصْرَانِيًّا عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي لَأَشْتَهِي
أَنْ أَرَاكَ مِنْذُ سِنِينَ، مَا بَقَاؤُكَ صَلاَحٌ لِلْإِسْلَامِ وَحَدَثُهُمْ، بَلْ
لِلْخَلْقِ جَمِيعًا، وَلَيْسَ مِنْ أَصْحَابِنَا أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ رَضِيَ بِكَ.
فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ يُدْعَى لَكَ فِي
جَمِيعِ الْأَمْصَارِ.

فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِذَا عَرَفَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ، فَمَا يَنْفَعُهُ كَلَامُ
النَّاسِ.





وَمِنْ آدَابِهِ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُهَا عَلَى فِيهِ يُقْبَلُهَا.

وَأَحْسِبُ أَنِّي رَأَيْتُهُ يَضَعُهَا عَلَى عَيْنِهِ، وَيَغْمِسُهَا فِي الْمَاءِ وَيَشْرَبُهُ يَسْتَشْفِي بِهِ، وَرَأَيْتُهُ أَخَذَ قِصْعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَسَلَهَا، ثُمَّ شَرِبَ فِيهَا^(١) وَرَأَيْتُهُ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ يَسْتَشْفِي بِهِ، وَيَمْسَحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ الدَّارِمِيِّ: كَتَبَ إِلَيَّ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

(١) التبرُّكُ بآثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمر مشروع، فشعره ووضوؤه وآنيته وألبسته التي مسَّت جسده، كل ذلك مبارك، يُشرع التبرُّكُ به باتفاق العلماء، وهذا ما كان يفعله الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ. لكن ينبغي أن يُعلم أن تلك الآثار قد فقدت بسبب بُعد العهد وطول الزمان، ولم يبق من ذلك شيء، والموجود في المتاحف اليوم إنما هي أشياء مدعاة، ليس عليها دليل.



وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الزُّهْرِيُّ: مَضَى عَمِّي إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ، وَثَبَ قَائِمًا وَأَكْرَمَهُ.

وَقَالَ الْمَرْوُذِيُّ: قَالَ لِي أَحْمَدُ: مَا كَتَبْتُ حَدِيثًا إِلَّا وَقَدْ عَمِلْتُ بِهِ، حَتَّى مَرَّ بِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَجَمَ، وَأَعْطَى أَبَا طَيْبَةَ دِينَارًا، فَأَعْطَيْتُ الْحَجَّامَ دِينَارًا حِينَ اخْتَجَمْتُ.

وَقَالَ حَنْبَلٌ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ، قَالَ لِحُجَلَسَائِهِ: إِذَا شِئْتُمْ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِذَا صَحَّ عِنْدَكُمْ الْحَدِيثُ، فَأَخْبِرُونَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْهِ، أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِالْأَخْبَارِ الصَّحَّاحِ مِنَّا، فَإِذَا كَانَ خَيْرٌ صَحِيحٌ، فَأَعْلَمْنِي حَتَّى أَذْهَبَ إِلَيْهِ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَحْمَدَ، صَحْبَانَهُ خَمْسِينَ سَنَةً، مَا افْتَخَرَ عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ.



قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: كَانَ أَبِي يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ سُبْعًا، وَكَانَ يَنَامُ نَوْمَةً خَفِيفَةً بَعْدَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الصَّبَاحِ يُصَلِّي وَيَدْعُو.

قَالَ أَحْمَدُ الدَّورَقِيُّ: لَمَّا قَدِمَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ عِنْدِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، رَأَيْتُ بِهِ شُحُوبًا بِمَكَّةَ، وَقَدْ تَبَيَّنَ عَلَيْهِ النَّصَبُ وَالتَّعَبُ، فَكَلَّمْتُهُ، فَقَالَ: هَذَا هَيِّنٌ فِيمَا اسْتَفَدْنَا مِنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ.

قَالَ المَرُودِيُّ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِذَا ذَكَرَ المَوْتَ، خَنَقَتْهُ العَبْرَةُ. وَكَانَ يَقُولُ: إِذَا ذَكَرْتُ المَوْتَ، هَانَ عَلَيَّ كُلُّ أَمْرِ الدُّنْيَا، إِنَّمَا هُوَ طَعَامٌ دُونَ طَعَامٍ، وَلِبَاسٌ دُونَ لِبَاسٍ، وَإِنَّهَا أَيَّامٌ قَلَائِلٌ، مَا أَعْدِلُ بِالفَقْرِ شَيْئًا، وَلَوْ وَجَدْتُ السَّبِيلَ، لَخَرَجْتُ حَتَّى لَا يَكُونَ لِي ذِكْرٌ.

وَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ فِي شِعْبٍ بِمَكَّةَ حَتَّى لَا أَعْرِفَ، قَدْ بُلِيتُ بِالشُّهْرَةِ.



وَمِنْ سِيرَتِهِ

قَالَ الْخَلَّالُ: قُلْتُ لِزُهَيْرِ بْنِ صَالِحٍ (حفيد الإمام أحمد)
هَلْ رَأَيْتَ جَدَّكَ؟

قَالَ: نَعَمْ، مَاتَ وَأَنَا فِي عَشْرِ سِنِينَ، كُنَّا نَدْخُلُ إِلَيْهِ فِي
كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ أَنَا وَأَخَوَاتِي، وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ بَابٌ، وَكَانَ
يَكْتُبُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا حَبَّتَيْنِ حَبَّتَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ فِي رُقْعَةٍ إِلَى
فَامِيٍّ يُعَامِلُهُ.

وَرُبَّمَا مَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ قَاعِدٌ فِي الشَّمْسِ، وَظَهْرُهُ مَكْشُوفٌ،
فِيهِ أَثَرُ الضَّرْبِ بَيِّنٌ، وَكَانَ لِي أَخٌ أَصْغَرُ مِنِّي اسْمُهُ عَلِيُّ،
فَأَرَادَ أَبِي أَنْ يَخْتَنَهُ، فَاتَّخَذَ لَهُ طَعَامًا كَثِيرًا، وَدَعَا قَوْمًا.

فَوَجَّهَ إِلَيْهِ جَدِّي: بَلَّغْنِي مَا أَحَدَّثْتَهُ لِهَذَا، وَإِنَّكَ أَسْرَفْتَ،
فَأَبْدَأْ بِالْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ.



فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنَ الْغَدِ، حَضَرَ الْحَجَّامُ، وَحَضَرَ أَهْلُنَا، جَاءَ
جَدِّي حَتَّى جَلَسَ عِنْدَ الصَّبِيِّ، وَأَخْرَجَ صُرِيرَةً، فَدَفَعَهَا إِلَى
الْحَجَّامِ، وَقَامَ، فَنَظَرَ الْحَجَّامُ فِي الصُّرِيرَةِ، فَإِذَا دِرْهَمٌ وَاحِدٌ.
وَكُنَّا قَدْ رَفَعْنَا كَثِيرًا مِنَ الْفُرُشِ، وَكَانَ الصَّبِيُّ عَلَى
مَصْطَبَةٍ مُرْتَفِعَةٍ مِنَ الثِّيَابِ الْمُلَوَّنَةِ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ.

وَقَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ خُرَاسَانَ ابْنُ خَالَةِ جَدِّي، فَنَزَلَ عَلَى أَبِي،
فَدَخَلْتُ مَعَهُ إِلَى جَدِّي، فَجَاءَتِ الْجَارِيَةُ بِطَبَقٍ عَلَيْهِ خُبْزٌ
وَبَقْلٌ وَمِلْحٌ، وَبِغُضَارَةٍ فِيهَا لَحْمٌ وَصَلِقٌ^(١)، فَأَكَلْنَا مَعَنَا،
وَسَأَلَ ابْنَ خَالَتِهِ عَمَّنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ بَخْرَاسَانَ فِي خِلَالِ
الْأَكْلِ، فَرُبَّمَا اسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ، فَيَكَلِّمُهُ جَدِّي بِالْفَارِسِيَّةِ،
وَيَضَعُ اللَّحْمَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَبَيْنَ يَدِي.

ثُمَّ أَخَذَ طَبَقًا إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ فِيهِ تَمْرًا وَجَوْزًا، وَجَعَلَ
يَأْكُلُ وَيُنَاوِلُ الرَّجُلَ.

(١) أي شواء كثير.



قَالَ الْمَيْمُونِيُّ: كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْأَلُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الشَّيْءِ،
فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ.

وَعَنْ الْمَرْوُذِيِّ، قَالَ: لَمْ أَرَ الْفَقِيرَ فِي مَجْلِسٍ أَعَزَّ مِنْهُ فِي
مَجْلِسِ أَحْمَدَ، كَانَ مَائِلًا إِلَيْهِمْ، مُقْصِرًا عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَكَانَ
فِيهِ حِلْمٌ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْعَجُولِ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّوَاضُّعِ، تَعْلُوهُ
السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَإِذَا جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ لِلْفُتْيَا،
لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يُسْأَلَ، وَإِذَا خَرَجَ إِلَى مَسْجِدِهِ، لَمْ يَتَصَدَّرْ.

وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَدِيدَ الْحَيَاءِ، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ، يُعْجِبُهُ
السَّخَاءُ.

قَالَ هَارُونُ الْمُسْتَمْلِي: لَقِيتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقُلْتُ: مَا
عِنْدَنَا شَيْءٌ. فَأَعْطَانِي خَمْسَةَ دَرَاهِمَ، وَقَالَ: مَا عِنْدَنَا غَيْرُهَا.

قَالَ حَمْدَانُ بْنُ عَلِيٍّ: لَمْ يَكُنْ لِبَاسُ أَحْمَدَ بَذَاكَ، إِلَّا أَنَّهُ
قَطْنٌ نَظِيفٌ.



وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ: رَأَيْتُ عَلِيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِي الشِّتَاءِ
قَمِيصَيْنِ وَجُبَّةً مُلَوَّنَةً بَيْنَهُمَا، وَرُبَّمَا قَمِيصًا وَفَرُوا ثَقِيلًا،
وَرَأَيْتُهُ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ فَوْقَ الْقَلَنْسُوتِ، وَكِسَاءٌ ثَقِيلًا.

فَسَمِعْتُ أَبَا عَمْرَانَ الْوَرَّكَانِيَّ يَقُولُ لَهُ يَوْمًا: يَا أَبَا عَبْدِ
اللَّهِ، هَذَا اللَّبَاسُ كُلُّهُ؟ فَضَحِكَ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا رَقِيقٌ فِي الْبَرْدِ!
وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الْمَرْوُذِيَّ حَدَّثَهُمْ
فِي آدَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:

كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لَا يَجْهَلُ، وَإِنْ جَهِلَ عَلَيْهِ، حَلَمَ وَاحْتَمَلَ،
وَيَقُولُ: يَكْفِي اللَّهُ.

وَلَمْ يَكُنْ بِالْحَقُودِ وَلَا الْعَجُولِ، كَثِيرَ التَّوَاضُعِ، حَسَنَ
الْخُلُقِ، دَائِمَ الْبِشْرِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، لَيْسَ بِفِظٍّ، وَكَانَ يُحِبُّ
فِي اللَّهِ، وَيُبْغِضُ فِي اللَّهِ، وَإِذَا كَانَ فِي أَمْرٍ مِنَ الدِّينِ، اشْتَدَّ لَهُ
غَضَبُهُ، وَكَانَ يَحْتَمِلُ الْأَذَى مِنَ الْجِيرَانِ.



وقال إبراهيم بن شماس: كُنْتُ أَعْرِفُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ
وَهُوَ غُلَامٌ، وَهُوَ يُحْيِي اللَّيْلَ.

وقال المرؤذي: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُومُ لَوْرِدِهِ قَرِيبًا مِنْ
نِصْفِ اللَّيْلِ حَتَّى يُقَارِبَ السَّحْرَ.

وقال عبد الله: رُبَّمَا سَمِعْتُ أَبِي فِي السَّحْرِ يَدْعُو
لِأَقْوَامٍ بِأَسْمَائِهِمْ، وَكَانَ يُكْثِرُ الدُّعَاءَ وَيُخْفِيهِ، وَيُصَلِّي بَيْنَ
العِشَاءَيْنِ، فَإِذَا صَلَّى عِشَاءَ الآخِرَةِ، رَكَعَ رَكَعَاتٍ صَالِحَةً،
ثُمَّ يُوْتِرُ، وَيَنَامُ نَوْمَةً خَفِيفَةً، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي.

قال الميموني: قَالَ لِي الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ
إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ:

قَالَ لِي أَحْمَدُ: أَبُوكَ (يعني الإمام الشافعي) أَحَدُ السُّتَّةِ
الَّذِينَ أَدْعُو لَهُمْ سَحْرًا.



وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ لَيْنَةً، رُبَّمَا لَمْ أَفْهَمْ بَعْضَهَا، وَكَانَ يَصُومُ
وَيُدْمِنُ، ثُمَّ يُفْطِرُ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَلَا يَتْرِكُ صَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ
وَأَيَّامِ الْبَيْضِ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنَ الْعَسْكَرِ، أَدْمَنَ الصَّوْمَ إِلَى أَنْ
مَاتَ.

قال الأثرم: أَخْبَرْتُ أَنَّ الشَّافِعِيَّ قَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (يعني
أحمد بن حنبل): إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَأَلَنِي أَنَّ أَلْتَمِسَ لَهُ
قَاضِيًا لِلْيَمَنِ، وَأَنْتَ تُحِبُّ الْخُرُوجَ إِلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ، فَقَدْ
نَلْتَ حَاجَتَكَ، وَتَقْضِي بِالْحَقِّ.

فَقَالَ أَحْمَدُ لِلشَّافِعِيِّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْكَ
ثَانِيَةً، لَمْ تَرْنِي عِنْدَكَ.

قال مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَقَدْ قَالَ لَهُ
خُرَّاسَانِي: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَأَيْتُكَ.

قال: اقْعُدْ، أَيُّ شَيْءٍ ذَا؟ مَنْ أَنَا؟



وَعَنْ رَجُلٍ، قَالَ: رَأَيْتُ أَثَرَ الْغَمِّ فِي وَجْهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ،
وَقَدْ أَتَنَى عَلَيْهِ شَخْصٌ، وَقِيلَ لَهُ: جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ
خَيْرًا.

فَقَالَ: بَلْ جَزَى اللَّهُ الْإِسْلَامَ عَنِّي خَيْرًا، مَنْ أَنَا؟ وَمَا أَنَا؟!
وَقَالَ الْمَرْوُذِيُّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ذَكَرَ أَخْلَاقَ
الْوَرَعِينَ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ لَا يَمُقْتَنَا، أَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَؤُلَاءِ؟!
وَكَانَ يُحِبُّ الْخُمُولَ وَالْأَنْزَوَاءَ عَنِ النَّاسِ، وَيَعُودُ الْمَرِيضَ،
وَكَانَ يَكْرَهُ الْمَشْيَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَيُؤَثِّرُ الْوَحْدَةَ.

قَالَ الْمَيْمُونِيُّ: قَالَ أَحْمَدُ: رَأَيْتُ الْخَلْوَةَ أَرْوَحَ لِقَلْبِي.
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِذَا
مَشَى فِي الطَّرِيقِ، يَكْرَهُ أَنْ يَتَّبِعَهُ أَحَدٌ.

قُلْتُ: إِيْثَارُ الْخُمُولِ وَالتَّوَاضُّعِ وَكَثْرَةُ الْوَجَلِ مِنْ عِلَامَاتِ
التَّقْوَى وَالفَلَاحِ.



قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: كَانَ أَبِي إِذَا دَعَا لَهُ رَجُلٌ، يَقُولُ:
الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا.





المحنة

الصَّدْعُ بِالْحَقِّ عَظِيمٌ، يَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةٍ وَإِخْلَاصٍ،
فَالْمُخْلِصُ بِلَا قُوَّةٍ يَعْجِزُ عَنِ الْقِيَامِ بِهِ، وَالْقَوِيُّ بِلَا إِخْلَاصٍ
يُخْذَلُ، فَمَنْ قَامَ بِهِمَا كَامِلًا، فَهُوَ صِدِّيقٌ، وَمَنْ ضَعُفَ، فَلَا
أَقْلَ مِنْ التَّأَلُّمِ وَالْإِنْكَارِ بِالْقَلْبِ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ إِيمَانٌ وَلَا
قُوَّةٌ إِلَّا بِاللَّهِ .

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَدِينُهُمْ قَائِمًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ
وَعُمَرَ .

فَلَمَّا اسْتُشْهِدَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَامَ رُؤُوسُ الشَّرِّ عَلَى الشَّهِيدِ
عُثْمَانَ حَتَّى ذُبِحَ صَبْرًا، وَتَفَرَّقَتِ الْكَلِمَةُ، وَتَمَّتْ وَقَعَةُ
الْجَمَلِ، ثُمَّ وَقَعَةُ صِفِّينَ .

فَظَهَرَتِ الْخَوَارِجُ، وَكَفَّرَتْ سَادَةُ الصَّحَابَةِ، ثُمَّ ظَهَرَتِ
الرَّوَافِضُ وَالنَّوَاصِبُ .



وَفِي آخِرِ زَمَنِ الصَّحَابَةِ ظَهَرَتِ الْقَدَرِيَّةُ، ثُمَّ ظَهَرَتِ
الْمُعْتَزِلَةُ بِالْبَصْرَةِ، وَالْجَهْمِيَّةُ وَالْمُجَسِّمَةُ بِخُرَاسَانَ فِي أَثْنَاءِ
عَصْرِ التَّابِعِينَ مَعَ ظُهُورِ السُّنَّةِ وَأَهْلِهَا إِلَى بَعْدِ الْمائَتَيْنِ،
فَظَهَرَ الْمَأْمُونُ الْخَلِيفَةُ - وَكَانَ ذَكِيًّا مُتَكَلِّمًا، لَهُ نَظَرٌ فِي
الْمَعْقُولِ - فَاسْتَجَلَبَ كُتُبَ الْأَوَائِلِ، وَعَرَّبَ حِكْمَةَ الْيُونَانِ،
وَقَامَ فِي ذَلِكَ وَقَعْدًا، وَخَبَّ وَوَضَعَ، وَرَفَعَتِ الْجَهْمِيَّةُ
وَالْمُعْتَزِلَةُ رُؤُوسَهَا، بَلْ وَالشَّيْعَةُ، فَإِنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ.

وَأَلَّ بِهِ الْحَالَ أَنْ حَمَلَ الْأُمَّةَ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ،
وَامْتَحَنَ الْعُلَمَاءَ، فَلَمْ يُمَهَلْ.

وَهَلَكَ لِعَامِهِ، وَخَلَّى بَعْدَهُ شَرًّا وَبَلَاءً فِي الدِّينِ، فَإِنَّ الْأُمَّةَ
مَا زَالَتْ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ، لَا
يَعْرِفُونَ غَيْرَ ذَلِكَ، حَتَّى نَبَغَ لَهُمُ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ،
وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ إِضَافَةٌ تَشْرِيْفٍ، كَبَيْتِ اللَّهِ، وَنَاقَةِ
اللَّهِ! فَأَنكَرَ الْعُلَمَاءُ ذَلِكَ.



وَلَمْ تَكُنْ الْجَهْمِيَّةُ يَظْهَرُونَ فِي دَوْلَةِ الْمَهْدِيِّ وَالرَّشِيدِ
وَالْأَمِينِ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمَأْمُونُ، كَانَ مِنْهُمْ، وَأَظْهَرَ الْمَقَالََةَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ: قَالَ هَارُونَ الرَّشِيدُ: بَلَّغْنِي أَنْ بَشَرَ
بَنَ غِيَاثِ الْمَرِيْسِيِّ يَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَلِلَّهِ عَلَيَّ إِنْ
أَظْفَرَنِي بِهِ، لَأَقْتُلَنَّه.

قَالَ الدَّورَقِيُّ: وَكَانَ الْمَرِيْسِيُّ مُتَوَارِيًا أَيَّامَ الرَّشِيدِ، فَلَمَّا
مَاتَ الرَّشِيدُ، ظَهَرَ، وَدَعَا إِلَى الضَّلَاةِ.

قُلْتُ: ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ نَظَرَ فِي الْكَلَامِ، وَنَاطَرَ، وَبَقِيَ
مُتَوَقِّفًا فِي الدُّعَاءِ إِلَى بَدْعَتِهِ.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ: خَالَطَهُ قَوْمٌ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ،
فَحَسَّنُوا لَهُ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ وَيُرَاقِبُ بَقَايَا
الشُّيُوخِ، ثُمَّ قَوِيَ عَزْمُهُ، وَامْتَحَنَ النَّاسَ.

قَالَ ابْنُ أَكْثَمٍ: قَالَ لَنَا الْمَأْمُونُ: لَوْ لَا مَكَانُ يُزِيدُ بَنَ هَارُونَ،
لَأَظْهَرْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ.



فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ يَزِيدٌ حَتَّى يَتَّقَى؟
فَقَالَ: وَيَحَكَ! إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَظْهَرْتَهُ أَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ، فَيُخْتَلِفُ
النَّاسُ، وَتَكُونُ فِتْنَةٌ، وَأَنَا أَكْرَهُ الْفِتْنَةَ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: فَأَنَا أَسْتَخْبِرُ ذَلِكَ مِنْهُ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: نَعَمْ.
فَخَرَجَ إِلَى وَاسِطَ، فَجَاءَ إِلَى يَزِيدَ، وَقَالَ: يَا أَبَا خَالِدٍ، إِنَّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَظْهَرَ
خَلْقَ الْقُرْآنِ.

فَقَالَ: كَذَبْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا
يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى مَا لَا يَعْرِفُونَهُ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَاقْعُدْ،
فَإِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَجْلِسِ، فَقُلْ.

قَالَ: فَلَمَّا أَنْ كَانَ الْغَدُ، اجْتَمَعُوا، فَقَامَ، فَقَالَ كَمَا قَالَتْهُ.
فَقَالَ يَزِيدٌ: كَذَبْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ لَا يَحْمِلُ النَّاسَ
عَلَى مَا لَا يَعْرِفُونَهُ وَمَا لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ.



قَالَ: فرجع الرجل إلى المأمون، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
كُنْتَ أَنْتَ أَعْلَمَ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْخَبْرَ.

قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: ثُمَّ امْتَحِنَ الْقَوْمَ، وَوَجَّهَ بِمَنْ امْتَنَعَ
إِلَى الْحَبْسِ، فَأَجَابَ الْقَوْمَ جَمِيعًا غَيْرَ أَرْبَعَةٍ: أَبِي، وَمُحَمَّدِ
بِ بْنِ نُوحٍ، وَالْقَوَارِيرِيِّ، وَالْحَسَنِ بْنِ حَمَادٍ سَجَّادَةَ.

ثُمَّ أَجَابَ هَذَانِ، وَبَقِيَ أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ فِي الْحَبْسِ
أَيَّامًا، ثُمَّ جَاءَ كِتَابٌ مِنْ طَرَسُوسَ بِحَمَلِهِمَا مُقَيَّدَيْنِ زَمِيلَيْنِ.

وَقَالَ أَبُو مَعْمَرٍ الْقَطِيعِيُّ: لَمَّا أُحْضِرْنَا إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ
أَيَّامَ الْمِحْنَةِ، وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَدْ أُحْضِرَ، فَلَمَّا رَأَى
النَّاسَ يُجِئُونَ، وَكَانَ رَجُلًا لَيِّنًا، فَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ،
وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَذَهَبَ ذَلِكَ اللَّيْنُ.

فَقُلْتُ: أَبْشِرْ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
بِ بْنِ جُمَيْعٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ:



كَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ إِذَا أُرِيدَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ، رَأَيْتَ حَمَالِيقَ عَيْنَيْهِ فِي رَأْسِهِ تَدُورُ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ.

قال ابن أبي أسامة: حُكِيَ لَنَا أَنَّ أَحْمَدَ قِيلَ لَهُ أَيَّامَ الْمِحْنَةِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَوَلَا تَرَى الْحَقَّ كَيْفَ ظَهَرَ عَلَيْهِ الْبَاطِلُ؟ فَقَالَ: كَلَّا، إِنَّ ظُهُورَ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ أَنْ تَنْتَقِلَ الْقُلُوبُ مِنَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَاةِ، وَقُلُوبُنَا بَعْدُ لَازِمَةٌ لِلْحَقِّ.

قال أبو جعفر الأنباري: لَمَّا حَمَلَ أَحْمَدُ إِلَى الْمَأْمُونِ، أَخْبَرْتُ، فَعَبَرْتُ الْفُرَاتَ، فَإِذَا أَحْمَدُ جَالِسٌ فِي الْحَانِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، تَعَنَيْتَ.

فقلتُ له: أَنْتَ الْيَوْمَ رَأْسٌ، وَالنَّاسُ يَقْتَدُونَ بِكَ، فَوَ اللَّهُ لَئِنْ أَجَبْتَ إِلَى خَلْقِ الْقُرْآنِ، لَيُجِيبَنَّ خَلْقٌ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُجِبْ، لَيَمْتَنَعَنَّ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الرَّجُلَ إِنْ لَمْ يَقْتُلِكَ فَإِنَّكَ تَمُوتُ، لِأَبَدٍ مِنَ الْمَوْتِ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُجِبْ.



فَجَعَلَ أَحْمَدُ يَبْكِي، وَيَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، أَعِدْ عَلَيَّ. فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

مَا شَاءَ اللَّهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنجِيُّ: جَعَلُوا إِذَا كُرُونَ أَبَا

عَبْدِ اللَّهِ (يعني الإمام أحمد) فِي التَّقِيَّةِ وَمَا رُوِيَ فِيهَا.

فَقَالَ لَهُمْ: كَيْفَ تَصْنَعُونَ بِحَدِيثِ خَبَّابٍ: (إِنَّ مَنْ كَانَ

قَبْلَكُمْ كَانَ يُنْشَرُ أَحَدُهُمْ بِالْمِنْشَارِ، لَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ)

قَالَ: فَأَيْسَنَا مِنْهُ.

ثُمَّ قَالَ أَحْمَدُ: لَسْتُ أَبَالِي بِالْحَبْسِ، مَا هُوَ وَمَنْزِلِي إِلَّا

وَاحِدٌ، وَلَا قِتْلًا بِالسَّيْفِ، إِنَّمَا أَخَافُ فِتْنَةَ السَّوْطِ.

فَسَمِعَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحَبْسِ، فَقَالَ: لَا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ

اللَّهِ، فَمَا هُوَ إِلَّا سَوْطَانٍ، ثُمَّ لَا تَدْرِي أَيْنَ يَقَعُ الْبَاقِي! فَكَانَهُ

سُرِّي عَنْهُ.



قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: حَمَلَ أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ مِنْ
بَغْدَادَ مُقَيَّدَيْنِ، فَصَرْنَا مَعَهُمَا إِلَى الْأَنْبَارِ.

فَسَأَلَ أَبُو بَكْرٍ الْأَحْوَلُ أَبِي: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنْ عَرِضَتْ
عَلَى السَّيْفِ، تُجِيبُ؟ قَالَ: لَا.

ثُمَّ سِيرًا، فَسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: صِرْنَا إِلَى الرَّحْبَةِ^(١) وَرَحَلْنَا
مِنْهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ،

فَعَرَضَ لَنَا رَجُلٌ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؟ فَقِيلَ لَهُ:
هَذَا. فَقَالَ لَهُ: يَا أَحْمَدُ، مَا عَلَيْكَ أَنْ تُقْتَلَ هَاهُنَا، وَتَدْخُلَ
الْجَنَّةَ؟ ثُمَّ قَالَ: أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ، وَمَضَى.

قال أحمد: فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ لِي: هَذَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ
مِنْ رَيْبَعَةَ يَعْمَلُ الشَّعْرَ فِي الْبَادِيَةِ، يُقَالُ لَهُ: جَابِرُ بْنُ عَامِرٍ،
يُذَكَّرُ بِخَيْرٍ.

(١) تقع الرحبة بين الرقة وبغداد.



قال إبراهيم بن عبد الله: قال أحمد بن حنبل: ما سمعتُ
كلمةً منذُ وقعتُ في هذا الأمرِ أقوى من كلمةِ أعرابيٍّ كَلَّمَنِي
بِهَا فِي رَحْبَةِ طَوْقٍ.

قال لي: يا أحمدُ، إن يقتلك الحقُّ مُتَّ شهيداً، وإن
عشتَ عشتَ حميداً.

فقوى قلبي.

قال صالح بن أحمد: قال أبي: فلما صرنا إلى أذنة^(١)
ورحلتنا منها في جوف الليل، وفتح لنا بابها، إذا رجلٌ قد
دخل، فقال: البشري! قد مات الرجل، يعني: المأمون.

قال أبي: وكنتُ أدعو الله أن لا أراه، فلم أره، مات
بالبندون.

قلتُ: والبندون هو نهر الروم.

(١) أذنة هي أضنة، المدينة التركية المعروفة.



وَبَقِيَ أَحْمَدُ مَحْبُوسًا بِالرَّقَّةِ حَتَّى بُوِيعَ الْمُعْتَصِمُ إِثْرَ
مَوْتِ أَخِيهِ، فَرُدَّ أَحْمَدُ إِلَى بَغْدَادَ.

قَالَ صَالِحٌ: لَمَّا صَدَرَ أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ إِلَى طَرَسُوسَ،
رُدَّا فِي أَقْيَادِهِمَا.

فَلَمَّا صَارَ إِلَى الرَّقَّةِ، حُمِلَا فِي سَفِينَةٍ، فَلَمَّا وَصَلَا إِلَى
عَانَةَ تُوْفِيَ مُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ، وَفُكَّ قَيْدُهُ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبِي.

وَقَالَ حَنْبَلٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (أحمد بن حنبل): مَا رَأَيْتُ
أَحَدًا عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ، أَقُومَ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ، إِنِّي
لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ خُتِمَ لَهُ بِخَيْرٍ.

قَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، اللَّهُ، اللَّهُ، إِنَّكَ لَسْتَ مِثْلِي،
أَنْتَ رَجُلٌ يُقْتَدَى بِكَ.

قَدْ مَدَّ الْخَلْقُ أَعْنَاقَهُمْ إِلَيْكَ، لِمَا يَكُونُ مِنْكَ، فَاتَّقِ اللَّهَ،
وَاثْبُتْ لِأَمْرِ اللَّهِ، أَوْ نَحْوِ هَذَا.

فَمَاتَ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَدَفَنْتُهُ.



قَالَ صَالِحٌ: وَصَارَ أَبِي إِلَى بَغْدَادَ مُقَيَّدًا، فَمَكَثَ بِالْيَاسِرِيَّةِ أَيَّامًا، ثُمَّ حُبِسَ فِي دَارٍ اكْتُرِيَتْ عِنْدَ دَارِ عُمَارَةَ، ثُمَّ حُوِّلَ إِلَى حَبْسِ الْعَامَّةِ فِي دَرَبِ الْمَوْصِلِيَّةِ.

قَالَ أَحْمَدُ: كُنْتُ أَصْلِي بِأَهْلِ السَّجَنِ، وَأَنَا مُقَيَّدٌ. فَلَمَّا كَانَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ تِسْعَ عَشَرَ - قُلْتُ: وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ الْمَأْمُونِ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ شَهْرًا - حُوِّلْتُ إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، يَعْنِي: نَائِبَ بَغْدَادَ.

وَأَمَّا حَنْبَلٌ، فَقَالَ: حُبِسَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي دَارِ عُمَارَةَ بِبَغْدَادَ، فِي إِصْطَبْلِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ؛ أَخِي إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ فِي حَبْسِ ضَيْقٍ، وَمَرَضَ فِي رَمَضَانَ.

ثُمَّ حُوِّلَ بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَى سَجَنِ الْعَامَّةِ، فَمَكَثَ فِي السَّجَنِ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ شَهْرًا.

وَكَانَ نَائِبُهُ، فَقَرَأَ عَلَيَّ كِتَابَ (الْإِزْجَاءِ) وَغَيْرَهُ فِي الْحَبْسِ، وَرَأَيْتُهُ يُصَلِّي بِهِمْ فِي الْقَيْدِ.



قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: قَالَ أَبِي: كَانَ يُوجِّهُ إِلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ بَرَجَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا يُقَالُ لَهُ: أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رَبَاحٍ، وَالْآخَرُ أَبُو شُعَيْبِ الْحَجَّامِ، فَلَا يَزَالَانِ يُنَاطِرَانِي، حَتَّى إِذَا قَامَا دُعِيَ بِقَيْدٍ، فَزِيدَ فِي قُيُودِي، فَصَارَ فِي رِجْلِي أَرْبَعَةُ أَقْيَادٍ.

قَالَ: فَلَمَّا صِرْنَا إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ الْبُسْتَانِ، أُخْرِجْتُ، وَجِيءَ بِدَابَّةٍ، فَأُرْكَبْتُ وَعَلَيَّ الْأَقْيَادُ، مَا مَعِيَ مَنْ يُمَسِّكُنِي، فَكِدْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ أَنْ أَخْرَجَ عَلَيَّ وَجْهِي لِثِقَلِ الْقُيُودِ.

فَجِيءَ بِي إِلَى دَارِ الْمُعْتَصِمِ، فَأَدْخَلْتُ حُجْرَةً، ثُمَّ أُدْخِلْتُ بَيْتًا، وَأَقْفَلَ الْبَابَ عَلَيَّ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَلَا سَرَّاجَ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، أُخْرِجْتُ تَكْتِي، وَشَدَدْتُ بِهَا الْأَقْيَادَ أَحْمِلُهَا، وَعَظَفْتُ سَرَائِيلِي.

فَجَاءَ رَسُولُ الْمُعْتَصِمِ، فَقَالَ: أَجِبْ.

فَأَخَذَ بِيَدِي، وَأَدْخَلَنِي عَلَيْهِ، وَأَنَا أَحْمِلُ الْأَقْيَادَ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ حَاضِرٌ، وَقَدْ جَمَعَ خَلْقًا كَثِيرًا



مِنْ أَصْحَابِهِ.

فَقَالَ لِي الْمُعْتَصِمُ: ادْنُهُ، ادْنُهُ. فَلَمْ يَزَلْ يُدْنِينِي حَتَّى قَرَبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: اجْلِسْ.

فَجَلَسْتُ، وَقَدْ أَثْقَلْتَنِي الْأَقْيَادُ، فَمَكَثْتُ قَلِيلًا، ثُمَّ قُلْتُ: أَتَأْذَنُ فِي الْكَلَامِ؟ قَالَ: تَكَلَّمْ.

فَقُلْتُ: إِلَى مَا دَعَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ فَسَكَتَ هُنَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

فَقُلْتُ: فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّ جَدَّكَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَمَّا قَدِمَ وَفَدَّ عَبْدَ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوهُ عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ؟). قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: (شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ).



فَقَالَ الْمُعْتَصِمُ: لَوْلَا أَنِّي وَجَدْتُكَ فِي يَدِ مَنْ كَانَ قَبْلِي،
مَا عَرَضْتُ لَكَ.

ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، أَلَمْ أَمُرْكَ بِرَفْعِ الْمِحْنَةِ؟
فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّ فِي هَذَا لَفَرَجًا لِلْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: نَاظِرُوهُ، وَكَلِّمُوهُ، يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَلِّمَهُ.

فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟

قُلْتُ: مَا تَقُولُ أَنْتَ فِي عِلْمِ اللَّهِ؟

فَسَكَتَ، فَقَالَ لِي بَعْضُهُمْ: أَلَيْسَ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿اللَّهُ
خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وَالْقُرْآنُ أَلَيْسَ شَيْئًا؟

فَقُلْتُ: قَالَ اللَّهُ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فَهَلْ دَمَّرْتُ إِلَّا مَا أَرَادَ اللَّهُ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾
أَفَيَكُونُ مُحَدَّثٌ إِلَّا مَخْلُوقًا؟



فَقُلْتُ: قَالَ اللهُ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ١ ﴿فَالذِّكْرُ هُوَ الْقُرْآنُ، وَتِلْكَ لَيْسَ فِيهَا أَلْفٌ وَلَا مِٔةٌ.﴾

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ حَدِيثَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الذَّكْرَ)، فَقُلْتُ: هَذَا خَطَأٌ، حَدَّثَنَا غَيْرٌ وَاحِدٍ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الذَّكْرَ).

وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ أَكْبَرَ مِنْ آيَةِ الْكُرْسِيِّ). فَقُلْتُ: إِنَّمَا وَقَعَ الْخَلْقُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَى الْقُرْآنِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: حَدِيثُ خَبَّابٍ: (يَا هَتَّاهُ، تَقَرَّبْ إِلَى اللهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّكَ لَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ). فَقُلْتُ: هَكَذَا هُوَ.

قَالَ صَالِحٌ: وَجَعَلَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ يُنْظَرُ إِلَى أَبِي كَالْمُعْضَبِ.



قَالَ أَبِي: وَكَانَ يَتَكَلَّمُ هَذَا، فَأَرَدُ عَلَيْهِ، وَيَتَكَلَّمُ هَذَا،
فَأَرَدُ عَلَيْهِ، فَإِذَا انْقَطَعَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ، اعْتَرَضَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ،
فَيَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ - وَاللَّهِ - ضَالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ!
فَيَقُولُ: كَلِّمُوهُ، نَاظِرُوهُ.

فِيكَلِّمُنِي هَذَا، فَأَرَدُ عَلَيْهِ، وَيَكَلِّمُنِي هَذَا، فَأَرَدُ عَلَيْهِ،
فَإِذَا انْقَطَعُوا، يَقُولُ الْمُعْتَصِمُ: وَيَحَاكَ يَا أَحْمَدُ! مَا تَقُولُ؟
فَأَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَقُولَ بِهِ.

قَالَ حَنْبَلٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: لَقَدْ احْتَجُّوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ مَا
يَقْوَى قَلْبِي، وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي أَنْ أَحْكِيَهُ.

أَنْكُرُوا الْآثَارَ، وَمَا ظَنَنْتُهُمْ عَلَى هَذَا حَتَّى سَمِعْتُهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنَجِيُّ: حَدَّثَنِي بَعْضُ
أَصْحَابِنَا: أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادَ أَقْبَلَ عَلَى أَحْمَدَ يُكَلِّمُهُ،



فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، حَتَّى قَالَ الْمُعْتَصِمُ: يَا أَحْمَدُ، أَلَا تُكَلِّمُ أَبَا
عَبْدِ اللَّهِ؟

فَقُلْتُ: لَسْتُ أَعْرِفُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَأُكَلِّمُهُ!

قَالَ صَالِحٌ: وَجَعَلَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
وَاللَّهِ لَئِنْ أَجَابَكَ، لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَلْفِ دِينَارٍ، وَمِائَةِ أَلْفِ
دِينَارٍ، فَيَعُدُّ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَعُدَّ.

فَقَالَ: لَئِنْ أَجَابَنِي لِأُطْلِقَنَّ عَنْهُ بِيَدِي، وَلَا زَكَبَنَّ إِلَيْهِ
بِجُنْدِي، وَلَا طَائِفًا عَقِبَهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْمَدُ، وَاللَّهِ إِنِّي عَلَيْكَ لَشَفِيقٌ، وَإِنِّي لِأَشْفِقُ
عَلَيْكَ كَشَفَقَتِي عَلَى ابْنِي هَارُونَ، مَا تَقُولُ؟ فَأَقُولُ: أَعْطُونِي
شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.

فَلَمَّا طَالَ الْمَجْلِسُ، ضَجَرَ، وَقَالَ: قُومُوا، وَحَبَسَنِي عِنْدَهُ
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ يُكَلِّمُنِي، وَقَالَ: وَيْحَكَ! أَجِبْنِي.



فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْرِفُهُ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، يَرَى طَاعَتَكَ وَالْحَجَّ وَالْجِهَادَ مَعَكَ.

فَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَالِمٌ، وَإِنَّهُ لَفَقِيهٌ، وَمَا يَسُوءُنِي أَنْ يَكُونَ مَعِيَ يَرُدُّ عَنِّي أَهْلَ الْمَلَلِ.

ثُمَّ قَالَ: مَا كُنْتَ تَعْرِفُ صَالِحًا الرَّشِيدِيَّ؟

قُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ بِهِ. قَالَ: كَانَ مُؤَدِّبِي، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ جَالِسًا - وَأَشَارَ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ الدَّارِ - فَسَأَلَنِي عَنِ الْقُرْآنِ، فَخَالَفَنِي، فَأَمَرْتُ بِهِ، فُوطِيَّ وَسُحِبَ! يَا أَحْمَدُ، أَجِبْنِي إِلَى شَيْءٍ لَكَ فِيهِ أَدْنَى فَرْجٍ حَتَّى أُطَلِّقَ عَنْكَ بِيَدِي.

قُلْتُ: أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.

فَطَالَ الْمَجْلِسُ، وَقَامَ، وَرُدِدْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَجَّهَ إِلَيَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ، يَبْتَائِنِ عِنْدِي وَيُنَظِرَانِي وَيُقِيمَانِ مَعِيَ، حَتَّى



إِذَا كَانَ وَقْتُ الْإِفْطَارِ، جِيءَ بِالطَّعَامِ، وَيَجْتَهِدَانِ بِي أَنْ أَفْطِرَ
فَلَا أَفْعَلُ. قُلْتُ: وَكَانَتْ لِيَالِي رَمَضَانَ.

قَالَ: وَوَجَّهَ الْمُعْتَصِمُ إِلَيَّ ابْنَ أَبِي دُوَادَ فِي اللَّيْلِ، فَقَالَ: يَقُولُ
لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: مَا تَقُولُ؟ فَأَرَدُّ عَلَيْهِ نَحْوًا مِمَّا كُنْتُ أَرُدُّ.

فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ حَلَفَ أَنْ
يَضْرِبَكَ ضَرْبًا بَعْدَ ضَرْبٍ، وَأَنْ يُلْقِيكَ فِي مَوْضِعٍ لَا تَرَى
فِيهِ الشَّمْسَ.

وَيَقُولُ: إِنَّ أَجَابِنِي، جِئْتُ إِلَيْهِ حَتَّى أُطْلِقَ عَنْهُ بِيَدِي، ثُمَّ
انصَرَفَ.

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا جَاءَ رَسُولُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي حَتَّى ذَهَبَ بِي
إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: نَاطِرُوهُ، وَكَلِّمُوهُ.

فَجَعَلُوا يَنَاطِرُونِي، فَأَرَدُّ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ
إِلَى قُرْبِ الزَّوَالِ. فَلَمَّا ضَجَرَ، قَالَ: قَوْمُوا.



ثُمَّ خَلَابِي، وَبَعْبِدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُنِي،
ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ، وَرُدِدْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّلَاثَةَ، قُلْتُ: خَلِيقٌ أَنْ يَحْدُثَ غَدًا
مِنْ أَمْرِي شَيْءٌ، فَقُلْتُ لِلْمَوَكَّلِ بِي: أُرِيدُ خَيْطًا. فَجَاءَنِي
بَخِيطٍ، فَشَدَدْتُ بِهِ الْأَقْيَادَ، وَرُدِدْتُ التَّكَّةَ إِلَى سَرَائِيلِي
مَخَافَةَ أَنْ يَحْدُثَ مِنْ أَمْرِي شَيْءٌ، فَأَتَعَرَّى.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، أُدْخِلْتُ إِلَى الدَّارِ، فَإِذَا هِيَ غَاصَّةٌ،
فَجَعَلْتُ أُدْخِلُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السُّيُوفُ،
وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السَّيَاطُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَلَمْ يَكُنْ فِي الْيَوْمَيْنِ الْمَاضِيَيْنِ كَبِيرٌ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ،
فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: اقْعُدْ.

ثُمَّ قَالَ: نَاطِرُوهُ، كَلِّمُوهُ.

فَجَعَلُوا يُنَاطِرُونِي، يَتَكَلَّمُ هَذَا، فَأَرُدُّ عَلَيْهِ، وَيَتَكَلَّمُ هَذَا،
فَأَرُدُّ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ صَوْتِي يعلو أصواتهم.



فَجَعَلَ بَعْضُ مَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي يَوْمِي إِلَى بِيَدِهِ، فَلَمَّا طَالَ الْمَجْلِسُ، نَحَّانِي، ثُمَّ خَلَا بِهِمْ، ثُمَّ نَحَّاهُمْ، وَرَدَّنِي إِلَى عِنْدِهِ، وَقَالَ: وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ! أَجْبَنِي حَتَّى أُطْلِقَ عَنْكَ بِيَدِي. فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ نَحْوَ رَدِّي، فَقَالَ: خُذُوهُ، اسْحَبُوهُ، خَلِّعُوهُ. فَسُحِبْتُ، وَخُلِعْتُ.

قَالَ: وَجَلَسَ الْمُعْتَصِمُ عَلَى كُرْسِيِّ، ثُمَّ قَالَ: الْعُقَابَيْنِ وَالسَّيَاطُ. فَجِيءَ بِالْعُقَابَيْنِ، فَمَدَّتْ يَدَايَ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ خَلْفِي: خُذْ نَاتِيَّ الْخَشْبَتَيْنِ بِيَدَيْكَ، وَشُدَّ عَلَيْهِمَا. فَلَمْ أَفْهَمْ مَا قَالَ، فَتَخَلَّعْتُ يَدَايَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنَجِيُّ: ذَكَرُوا أَنَّ الْمُعْتَصِمَ أَلَانَ فِي أَمْرِ أَحْمَدَ لَمَّا عَلَّقَ فِي الْعُقَابَيْنِ، وَرَأَى ثَبَاتَهُ وَتَصْمِيمَهُ وَصَلَابَتَهُ، حَتَّى أَغْرَاهُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ تَرَكْتَهُ، قِيلَ: قَدْ تَرَكَ مَذْهَبَ الْمَأْمُونِ، وَسَخَطَ قَوْلَهُ. فَهَاجَهُ ذَلِكَ عَلَى ضَرْبِهِ.



ثُمَّ قَالَ لِلْجَلَادِينَ: تَقَدَّمُوا. فَجَعَلَ يَتَقَدَّمُ إِلَيَّ الرَّجُلُ مِنْهُمْ، فَيَضْرِبُنِي سَوَاطِينِ، فَيَقُولُ لَهُ: شُدَّ، قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ! ثُمَّ يَتَنَحَّى وَيَتَقَدَّمُ آخِرُ، فَيَضْرِبُنِي سَوَاطِينِ، وَهُوَ يَقُولُ فِي كُلِّ ذَلِكَ: شُدَّ، قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ! فَلَمَّا ضُرِبْتُ سَبْعَةَ عَشَرَ سَوَاطِئًا، قَامَ إِلَيَّ -يَعْنِي: الْمُعْتَصِمُ- فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، عَلَامَ تَقْتُلُ نَفْسَكَ؟ إِنِّي -وَاللَّهِ- عَلَيْكَ لَشَفِيقٌ.

وَجَعَلَ عُجَيْفٌ يَنْخَسِنِي بِقَائِمَةِ سَيْفِهِ، وَقَالَ: أَتُرِيدُ أَنْ تَغْلِبَ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ؟

وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: وَيَلَكَ! إِمَامَكَ عَلَى رَأْسِكَ قَائِمٌ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، دَمُهُ فِي عُنُقِي، اقْتُلْهُ.

وَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ صَائِمٌ، وَأَنْتَ فِي الشَّمْسِ قَائِمٌ!

فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ، مَا تَقُولُ؟



**فَأَقُولُ: أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ
أَقُولُ بِهِ.**

**فَرَجَعَ، وَجَلَسَ، وَقَالَ لِلْجَلَادِ: تَقَدَّمْ، وَأَوْجِعْ، قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ.
ثُمَّ قَامَ الثَّانِيَةَ، وَجَعَلَ يَقُولُ: وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ! أَجِبْنِي.
فَجَعَلُوا يُقْبَلُونَ عَلَيَّ، وَيَقُولُونَ: يَا أَحْمَدُ، إِمَامُكَ عَلَى
رَأْسِكَ قَائِمٌ!**

**وَجَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: مَنْ صَنَعَ مِنْ أَصْحَابِكَ فِي
هَذَا الْأَمْرِ مَا تَصْنَعُ؟**

**وَالْمُعْتَصِمُ يَقُولُ: أَجِبْنِي إِلَى شَيْءٍ لَكَ فِيهِ أَدْنَى فَرْجٍ
حَتَّى أَطْلِقَ عَنْكَ بِيَدِي. ثُمَّ رَجَعَ، وَقَالَ لِلْجَلَادِ: تَقَدَّمْ. فَجَعَلَ
يَضْرِبُنِي سَوَاطِينِ، وَيَتَنَحَّى، وَهُوَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَقُولُ: شُدَّ،
قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ. فَذَهَبَ عَقْلِي، ثُمَّ أَفْقَتْ بَعْدُ، فَإِذَا الْأَقْيَادُ قَدْ
أَطْلَقَتْ عَنِّي.**



فَقَالَ لِي رَجُلٌ مِمَّنْ حَضَرَ: كَبَيْتَكَ عَلَيَّ وَجْهَكَ، وَطَرَحْنَا
عَلَيَّ ظَهْرَكَ بَارِيَةً^(١) وَدُسْنَاكَ!

ثُمَّ جِيءَ بِي إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فَحَضَرْتُ
الظَّهْرَ، فَتَقَدَّمَ ابْنُ سَمَاعَةَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْقَلَبَ مِنْ صَلَاتِهِ،
وَقَالَ لِي: صَلَّيْتَ، وَالِدَمُّ يَسِيلُ فِي ثَوْبِكَ؟

قُلْتُ: قَدْ صَلَّيْتُ عُمُرٌ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا. قَالَ صَالِحٌ: ثُمَّ
خُلِّيَ عَنْهُ، فَصَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

قَالَ صَالِحٌ: وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ حَضَرَهُ: أَنَّهُ تَفَقَّده فِي الْإِيَّامِ
الثَّلَاثَةِ وَهُمْ يُنَاطِرُونَهُ، فَمَا لَحَنَ فِي كَلِمَةٍ. قَالَ: وَمَا ظَنَنْتُ
أَنَّ أَحَدًا يَكُونُ فِي مِثْلِ شَجَاعَتِهِ وَشِدَّةِ قَلْبِهِ.

قَالَ حَنْبَلٌ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: ذَهَبَ عَقْلِي
مِرَارًا، فَكَانَ إِذَا رُفِعَ عَنِّي الضَّرْبُ، رَجَعْتُ إِلَيَّ نَفْسِي، وَإِذَا
اسْتَرَحَيْتُ وَسَقَطْتُ، رُفِعَ الضَّرْبُ، أَصَابَنِي ذَلِكَ مِرَارًا.

(١) يعني حصيراً.



وَرَأَيْتُهُ - يَعْنِي: الْمُعْتَصِمَ - قَاعِدًا فِي الشَّمْسِ بِغَيْرِ مِظَلَّةٍ،
فَسَمِعْتُهُ - وَقَدْ أَفْقَتْ - يَقُولُ لِابْنِ أَبِي دُوَادَ: لَقَدْ ارْتَكَبْتُ
إِثْمًا فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ - وَاللَّهِ - كَافِرٌ مُشْرِكٌ. فَلَا يَزَالُ
بِهِ حَتَّى يَصْرِفَهُ عَمَّا يُرِيدُ.

وَقَدْ كَانَ أَرَادَ تَخْلِيَّتِي بِلَا ضَرْبٍ، فَلَمْ يَدَعُهُ، وَلَا إِسْحَاقَ
بْنِ إِبْرَاهِيمَ.

قَالَ حَنْبَلٌ: وَبَلَّغَنِي أَنَّ الْمُعْتَصِمَ قَالَ لِابْنِ أَبِي دُوَادَ بَعْدَ
مَا ضُرِبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: كَمْ ضُرِبَ؟

قَالَ: أَرْبَعَةً، أَوْ نِيْفًا وَثَلَاثِينَ سَوَاطًا.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ
الْأَسَدِيُّ، قَالَ: لَمَّا حُمِلَ أَحْمَدُ لِيُضْرَبَ، جَاؤُوا إِلَى بَشْرِ بْنِ
الْحَارِثِ (الْحَافِي) وَقَالُوا: قَدْ وَجِبَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ.



فَقَالَ: أَتُرِيدُونَ مِنِّي أَقْوَمَ مَقَامَ الْأَنْبِيَاءِ، لَيْسَ ذَا عِنْدِي،
حَفِظَ اللَّهُ أَحْمَدَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ.

قَالَ صَالِحٌ: فُخِّلِي عَنْهُ، فَصَارَ إِلَى الْمَنْزِلِ، وَوُجِّهَ إِلَى
الْمَطْبَقِ، فَجِيءَ بِرَجُلٍ مِمَّنْ يَبْصُرُ الضَّرْبَ وَالْعِلَاجَ، فَنَظَرَ
إِلَى ضَرْبِهِ، فَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُ مَنْ ضُرِبَ أَلْفَ سَوْطٍ، مَا رَأَيْتُ
ضَرْبًا مِثْلَ هَذَا، لَقَدْ جَرَّ عَلَيْهِ مِنْ خَلْفِهِ، وَمِنْ قُدَّامِهِ، ثُمَّ أَخَذَ
مِيلاً، فَأَدْخَلَهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْجِرَاحَاتِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ:
لَمْ يُنْقَبْ؟ وَجَعَلَ يَأْتِيهِ، وَيَعَالِجُهُ.

**وَكَانَ قَدْ أَصَابَ وَجْهَهُ غَيْرُ ضَرْبَةٍ، وَمَكَثَ مُنْكَبًّا عَلَى
وَجْهِهِ كَمَا شَاءَ اللَّهُ.**

ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا شَيْئًا أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَهُ. فَجَاءَ بِحَدِيدَةٍ،
فَجَعَلَ يُعَلِّقُ اللَّحْمَ بِهَا، فَيَقْطَعُهُ بِسِكِّينٍ مَعَهُ، وَهُوَ صَابِرٌ
لِذَلِكَ، يَجْهَرُ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ، فَبَرَأَ مِنْهُ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَوَجَّعُ
مِنْ مَوَاضِعَ مِنْهُ، وَكَانَ أَثَرُ الضَّرْبِ بَيِّنًا فِي ظَهْرِهِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ.



قال صالح: ودخلت يوماً، فقلتُ له: بلغني أن رجلاً
جاء إليك، فقال: اجعلني في حلٍّ؛ إذ لم أقم بنصرتك.
فقلتُ: لا أجعل أحداً في حلٍّ. فتبسّم أبي، وسكت،
وسمعتُ أبي يقول: لقد جعلت الميت في حلٍّ من ضربه
إيائي.

ثم قال: مررتُ بهذه الآية: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى
اللَّهِ﴾ فنظرتُ في تفسيرها، فإذا هو ما أخبرنا هاشم بن
القاسم، أخبرنا المبارك بن فضالة، قال: أخبرني من سمع
الحسن يقول: إذا كان يوم القيامة، جثت الأمم كلها بين
يدي الله رب العالمين، ثم نودي أن لا يقوم إلا من أجره
على الله، فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا.

قال: فجعلت الميت في حلٍّ. ثم قال: وما على رجل أن
لا يُعذب الله بسببه أحداً.



وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ: بَلَغَنِي أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ جَعَلَ الْمُعْتَصِمَ فِي حِلٍّ فِي فَتْحِ عَمُورِيَّةَ، فَقَالَ: هُوَ فِي حِلٍّ مِنْ ضَرْبِي.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ: دَعَا الْمُعْتَصِمُ بِعَمِّ أَحْمَدَ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: تَعْرِفُونَهُ؟

قَالُوا: نَعَمْ، هُوَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

قَالَ: فَانظُرُوا إِلَيْهِ، أَلَيْسَ هُوَ صَحِيحَ الْبَدَنِ؟

قَالُوا: نَعَمْ، وَلَوْ لَا أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ، لَكُنْتُ أَخَافُ أَنْ يَقَعَ شَيْءٌ لَا يُقَامُ لَهُ.

قَالَ: وَلَمَّا قَالَ: قَدْ سَلَّمْتُهُ إِلَيْكُمْ صَحِيحَ الْبَدَنِ، هَدَأَ النَّاسُ وَسَكَنُوا.

قُلْتُ: مَا قَالَ هَذَا مَعَ تَمَكُّنِهِ فِي الْخِلَافَةِ وَشَجَاعَتِهِ إِلَّا عَنْ أَمْرٍ كَبِيرٍ، كَأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَمُوتَ مِنَ الضَّرْبِ، فَتَخْرُجَ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ. وَلَوْ خَرَجَ عَلَيْهِ عَامَّةُ بَغْدَادَ، لَرُبَّمَا عَجَزَ عَنْهُمْ.



وَقَالَ حَنْبَلٌ: لَمَّا أَمَرَ الْمُعْتَصِمُ بِتَخْلِيَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، خَلَعَ عَلَيْهِ مُبَطَّنَةً وَقَمِيصًا، وَطَيْلَسَانًا وَقَلَنْسُوَّةً وَخُفًّا. فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَالنَّاسُ فِي الْمَيْدَانِ وَالدُّرُوبِ وَغَيْرِهَا، وَغُلِّقَتِ الْأَسْوَاقُ، إِذْ خَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَى دَابَّةٍ مِنْ دَارِ الْمُعْتَصِمِ فِي تِلْكَ الشِّيَابِ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ عَنْ يَمِينِهِ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - يَعْنِي: نَائِبَ بَغْدَادَ - عَنْ يَسَارِهِ. فَلَمَّا صَارَ فِي الدَّهْلِيْزِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ، قَالَ لَهُمْ ابْنُ أَبِي دُوَادَ: اكشِفُوا رَأْسَهُ.

فَكَشَفُوهُ - يَعْنِي: مِنَ الطَّيْلَسَانِ - وَذَهَبُوا يَأْخُذُونَ بِهِ نَاحِيَةَ الْمَيْدَانِ نَحْوَ طَرِيقِ الْحَبْسِ، فَقَالَ لَهُمْ إِسْحَاقُ: خُذُوا بِهِ هَاهُنَا - يُرِيدُ دِجْلَةَ - فَذَهَبَ بِهِ إِلَى الزُّورِقِ، وَحُمِلَ إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ صُلِّيَتِ الظُّهُرُ، وَبَعَثَ إِلَى وَالِدِي وَإِلَى جِيرَانِنَا وَمَشَايِخِ الْمَحَالِّ، فَجُمِعُوا، وَأُدْخِلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: هَذَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِنْ كَانَ فِيكُمْ مَنْ يَعْرِفُهُ، وَإِلَّا فَلْيَعْرِفْهُ.



قَالَ ابْنُ سَمَاعَةَ - حِينَ دَخَلَ الْجَمَاعَةَ - لَهُمْ: هَذَا أَحْمَدُ

بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَازَرَهُ فِي أَمْرِهِ، وَقَدْ خَلَى
سَبِيلَهُ، وَهَا هُوَ ذَا، فَأُخْرِجَ عَلَى فَرَسٍ لِإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَصَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَمَعَهُ السُّلْطَانُ
وَالنَّاسُ، وَهُوَ مُنْحَنٍ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْزِلَ، احْتَضَتْهُ، وَلَمْ
أَعْلَمْ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى مَوْضِعِ الضَّرْبِ، فَصَاحَ، فَنَحَيْتُ
يَدِي، فَنَزَلَ مُتَوَكِّئًا عَلَيَّ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ، وَدَخَلْنَا مَعَهُ، وَرَمَى
بِنَفْسِهِ عَلَيَّ وَجْهَهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَحَرَّكَ إِلَّا بِجَهْدٍ، وَنَزَعَ مَا كَانَ
خُلِعَ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ بِهِ، فَبِيعَ، وَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهِ.

وَكَانَ الْمُعْتَصِمُ أَمْرَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنْ لَا يَقْطَعَ عَنْهُ
خَبْرَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَرَكَ فِيمَا حُكِيَ لَنَا عِنْدَ الْإِيَّاسِ مِنْهُ.

وَبَلَّغْنَا: أَنَّ الْمُعْتَصِمَ نَدِمَ، وَأَسْقَطَ فِي يَدِهِ، حَتَّى صَلَحَ،
فَكَانَ صَاحِبُ خَبَرِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ يَأْتِينَا كُلَّ يَوْمٍ يَتَعَرَّفُ
خَبْرَهُ، حَتَّى صَحَّ، وَبَقِيَتْ إِبْهَامَاهُ مُنْخَلَعَتَيْنِ، يَضْرِبَانِ عَلَيْهِ



فِي الْبَرْدِ، فَيَسْخُنُ لَهُ الْمَاءُ، وَلَمَّا أَرَدْنَا عِلَاجَهُ، خِفْنَا أَنْ
يُدَسَّ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ سُمًّا إِلَى الْمُعَالِجِ، فَعَمِلْنَا الدَّوَاءَ
وَالْمَرْهَمَ فِي مَنْزِلِنَا.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: كُلُّ مَنْ ذَكَرَنِي فِي حِلِّ الْإِبْتِدَعَاءِ، وَقَدْ
جَعَلْتُ أَبَا إِسْحَاقَ - يَعْنِي: الْمُعْتَصِمَ - فِي حِلِّ، وَرَأَيْتُ اللَّهَ
يَقُولُ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وَأَمَرَ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ بِالْعَفْوِ فِي قِصَّةِ مِسْطَحٍ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَمَا يَنْفَعُكَ أَنْ يُعَذِّبَ اللَّهُ أَخَاكَ الْمُسْلِمَ
فِي سَبَبِكَ؟!

قَالَ حَنْبَلٌ: لَمَّا أَرَدْنَا عِلَاجَهُ، خِفْنَا أَنْ يُدَسَّ ابْنُ أَبِي دُوَادَ
إِلَى الْمُعَالِجِ، فَيَلْقِي فِي دَوَائِهِ سُمًّا، فَعَمِلْنَا الدَّوَاءَ وَالْمَرْهَمَ
عِنْدَنَا، فَكَانَ فِي بَرْنِيَّةٍ، فَإِذَا دَاوَاهُ رَفَعْنَاهَا.

قَالَ: وَكَانَ إِذَا أَصَابَهُ الْبَرْدُ، ضُرِبَ عَلَيْهِ.



مِحْنَةُ الْوَائِقِ

قَالَ حَنْبَلٌ: لَمْ يَزَلْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ بَرِيَ مِنَ الضَّرْبِ يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَيُحَدِّثُ وَيُفْتِي، حَتَّى مَاتَ الْمُعْتَصِمُ، وَوَلِيَ ابْنُهُ الْوَائِقُ، فَأَظْهَرَ مَا أَظْهَرَ مِنَ الْمِحْنَةِ وَالْمِيلِ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ وَأَصْحَابِهِ.

فَلَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى أَهْلِ بَغْدَادَ، وَأَظْهَرَتِ الْقَضَاةُ الْمِحْنَةَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَشْهَدُ الْجُمُعَةَ، وَيُعِيدُ الصَّلَاةَ إِذَا رَجَعَ، وَيَقُولُ: تُؤْتَى الْجُمُعَةُ لِفَضْلِهَا، وَالصَّلَاةُ تُعَادُ خَلْفَ مَنْ قَالَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ.

وَجَاءَ نَفْرٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَقَالُوا: هَذَا الْأَمْرُ قَدْ فَشَا وَتَفَاقَمَ، وَنَحْنُ نَخَافُهُ عَلَى أَكْثَرِ مَنْ هَذَا، وَذَكَرُوا ابْنَ أَبِي دُوَادٍ، وَأَنَّهُ عَلَى أَنْ يَأْمُرَ الْمُعَلِّمِينَ بِتَعْلِيمِ الصَّبِيَّانِ فِي الْمَكَاتِبِ الْقُرْآنُ كَذَا وَكَذَا، فَنَحْنُ لَا نَرْضَى بِإِمَارَتِهِ. فَمَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَنَاطَرَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّبْرِ.



قَالَ: فَبَيْنَا نَحْنُ فِي أَيَّامِ الْوَائِقِ، إِذْ جَاءَ يَعْقُوبُ لَيْلاً بِرِسَالَةِ الْأَمِيرِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ: يَقُولُ لَكَ الْأَمِيرُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ ذَكَرَكَ، فَلَا يَجْتَمَعَنَّ إِلَيْكَ أَحَدٌ وَلَا تُسَاكِنِي بِأَرْضٍ وَلَا مَدِينَةَ أَنَا فِيهَا، فَاهْجُبْ حَيْثُ شِئْتَ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ.

قَالَ: فَاخْتَفَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِقِيَّةِ حَيَاةِ الْوَائِقِ. وَكَانَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ، وَقُتِلَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ الْخُرَاعِيُّ.

وَلَمْ يَزَلْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُخْتَفِياً فِي الْبَيْتِ لَا يَخْرُجُ إِلَى صَلَاةٍ وَلَا إِلَى غَيْرِهَا حَتَّى هَلَكَ الْوَائِقُ.

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَانِيٍّ، قَالَ: اخْتَفَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عِنْدِي ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: اطْلُبْ لِي مَوْضِعًا.

قُلْتُ: لَا أَمْنُ عَلَيْكَ.

قَالَ: افْعَلْ، فَإِذَا فَعَلْتَ، أَفَدْتُكَ.



فَطَلَبْتُ لَهُ مَوْضِعًا، فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَ: اخْتَفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ تَحَوَّلَ.

وَالْعَجَبُ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الْحَافِظِ (١) كَيْفَ ذَكَرَ تَرْجَمَةَ أَحْمَدَ مُطَوَّلَةً كَعَوَائِدِهِ، وَلَكِنْ مَا أوردَ مِنْ أَمْرِ الْمَحْنَةِ كَلِمَةً مَعَ صِحَّةِ أَسَانِيدِهَا، فَإِنَّ حَنْبَلًا أَلْفَهَا فِي جُزْءَيْنِ. وَكَذَلِكَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ، وَجَمَاعَةٌ.



(١) يعني ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق.



فَصْلٌ فِي حَالِ الْإِمَامِ فِي دَوْلَةِ الْمُتَوَكَّلِ

قَالَ حَنْبَلٌ: وَلِيَّ الْمُتَوَكَّلِ، فَأَظْهَرَ اللَّهُ السُّنَّةَ، وَفَرَّجَ عَنِ النَّاسِ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُنَا وَيُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكَّلِ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا كَانَ النَّاسُ إِلَى الْحَدِيثِ وَالْعِلْمِ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَيْهِ فِي زَمَانِنَا.

ثُمَّ إِنَّ رَافِعًا رَفَعَ إِلَى الْمُتَوَكَّلِ: إِنَّ أَحْمَدَ رَبَّصَ عَلَوِيًّا فِي مَنْزِلِهِ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَهُ وَيُبَايِعَ عَلَيْهِ.

قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا عِلْمٌ، فَبَيْنَا نَحْنُ ذَاتَ لَيْلَةٍ نِيَامٌ فِي الصَّيْفِ، سَمِعْنَا الْجَلْبَةَ، وَرَأَيْنَا النَّيْرَانَ فِي دَارِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَأَسْرَعْنَا، وَإِذَا بِهِ قَاعِدٌ فِي إِزَارٍ، وَمُظَفَّرٌ بِنُ الْكَلْبِيِّ صَاحِبُ الْخَبَرِ وَجَمَاعَةٌ مَعَهُمْ، فَقَرَأَ صَاحِبُ الْخَبَرِ كِتَابَ الْمُتَوَكَّلِ: وَرَدَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ عِنْدَكُمْ عَلَوِيًّا رَبَّصْتَهُ لِتُبَايِعَ لَهُ وَتُظَهِّرَهُ... فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ.



ثُمَّ قَالَ لَهُ مُظَفَّرٌ: مَا تَقُولُ؟

قَالَ: مَا أَعْرِفُ مِنْ هَذَا شَيْئًا، وَإِنِّي لَأَرَى لَهُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِي وَيُسْرِي، وَمَنْشَطِي وَمَكْرَهِي، وَأَثَرَةَ عَلَيَّ، وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ لَهُ بِالتَّسْهِيدِ وَالتَّوْفِيقِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ.

فَقَالَ مُظَفَّرٌ: قَدْ أَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُحْلِفَكَ.

قَالَ: فَأَحْلَفُهُ بِالتَّلَاقِ ثَلَاثًا أَنْ مَا عِنْدَهُ طَلِبَةٌ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

ثُمَّ فَتَّشُوا مَنْزِلَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَالسَّرْبَ وَالْغُرْفَ وَالسُّطُوحَ، وَفَتَّشُوا تَابُوتَ الْكُتُبِ، وَفَتَّشُوا النِّسَاءَ وَالمَنَازِلَ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، وَلَمْ يُحْسُوا بِشَيْءٍ، وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ، فَوَقَعَ مِنْهُ مَوْعَاً حَسَنًا، وَعَلِمَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ.

وَكَانَ الَّذِي دَسَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ، وَلَمْ يَمُتْ حَتَّى بَيَّنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ لِلْمُسْلِمِينَ.



فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ، بَيْنَنَا نَحْنُ جُلُوسٌ بِيَابِ الدَّارِ، إِذَا
يَعْقُوبُ - أَحَدُ حُجَّابِ الْمُتَوَكَّلِ - قَدْ جَاءَ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيَّ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَدَخَلَ، وَدَخَلَ أَبِي وَأَنَا، وَمَعَ بَعْضُ غِلْمَانِهِ
بَدْرَةٌ عَلَيَّ بَعْلٌ، وَمَعَهُ كِتَابُ الْمُتَوَكَّلِ، فَقَرَأَهُ عَلَيَّ أَبِي عَبْدُ
اللَّهِ: إِنَّهُ صَحَّ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَرَاءَةَ سَاحَتِكَ، وَقَدْ وَجَّهَ
إِلَيْكَ بِهَذَا الْمَالِ تَسْتَعِينُ بِهِ.

فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ، وَقَالَ: مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ.

فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، اقْبَلْ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَمَرَكَ بِهِ،
فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَكَ عِنْدَهُ، فَإِنَّكَ إِنْ رَدَدْتَهُ، خِفتُ أَنْ يَظُنَّ بِكَ سُوءًا.
فَحِينَئِذٍ قَبَلَهَا.

فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ.

قُلْتُ: لَبَّيْكَ.

قَالَ: ارْفَعْ هَذِهِ الْإِنْجَانَةَ وَضَعْ الْبَدْرَةَ تَحْتَهَا. فَفَعَلْتُ،
وَخَرَجْنَا. فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ، إِذَا أُمُّ وَلَدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَدُقُّ



عَلَيْنَا الْحَائِطُ، فَقَالَتْ: مَوْلَايَ يَدْعُو عَمَّهُ. فَأَعْلَمْتُ أَبِي،
وَوَخَّرَجْنَا، فَدَخَلْنَا عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَذَلِكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ،
فَقَالَ: يَا عَمُّ! مَا أَخَذَنِي النَّوْمُ. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِهَذَا الْمَالِ.

وَجَعَلَ يَتَوَجَّعُ لِأَخِيهِ، وَأَبِي يُسَكِّنُهُ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْهِ،
وَقَالَ: حَتَّى تُصْبِحَ وَتَرَى فِيهِ رَأْيَكَ، فَإِنَّ هَذَا لَيْلٌ، وَالنَّاسُ
فِي الْمَنَازِلِ.

فَأَمْسَكَ وَوَجَّعْنَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ السَّحْرِ، وَجَّهَ إِلَى عَبْدِ وَسِ
بْنِ مَالِكٍ، وَإِلَى الْحَسَنِ بْنِ الْبَزَّارِ، فَحَضَرَ، وَحَضَرَ جَمَاعَةٌ،
مِنْهُمْ: هَارُونَ الْحَمَّالُ، وَأَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، وَابْنُ الدَّورَقِيِّ،
وَأَبِي، وَأَنَا، وَصَالِحٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَجَعَلْنَا نَكْتُبُ مَنْ يَذْكُرُونَهُ
مِنْ أَهْلِ السِّرِّ وَالصَّلَاحِ بَبْغَدَادَ وَالْكُوفَةَ، فَوَجَّهَ مِنْهَا إِلَى أَبِي
كُرَيْبٍ، وَلِلْأَشْجِجِ، وَإِلَى مَنْ يَعْلَمُونَ حَاجَتَهُ، فَفَرَّقَهَا كُلَّهَا مَا
بَيْنَ الْخَمْسِينَ إِلَى الْمِائَةِ، وَإِلَى الْمِائَتَيْنِ، فَمَا بَقِيَ فِي الْكَيْسِ
دِرْهَمٌ.



فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، جَاءَ رَسُولٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ الْمُتَوَكَّلِ، وَقَالَ لَهُ: يَا مُرَّكَ بِالْخُرُوجِ - يَعْنِي: إِلَى سَامِرَاءَ - فَقَالَ: أَنَا شَيْخٌ ضَعِيفٌ عَلِيلٌ.

فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بِمَا رَدَّ عَلَيْهِ، فَوَرَدَ جَوَابُ الْكِتَابِ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ.

فَوَجَّهَ عَبْدُ اللَّهِ أَجْنَادًا، فَبَاتُوا عَلَى بَابِنَا أَيَّامًا، حَتَّى تَهَيَّأَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لِلْخُرُوجِ، فَخَرَجَ.

قَالَ حَنْبَلٌ: فَأَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: دَخَلْنَا إِلَى الْعَسْكَرِ، فَإِذَا نَحْنُ بِمَوْكِبٍ عَظِيمٍ مُقْبِلٍ، فَلَمَّا حَاذَى بِنَا، قَالُوا: هَذَا وَصِيفٌ. وَإِذَا بِفَارِسٍ قَدْ أَقْبَلَ، فَقَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: الْأَمِيرُ وَصِيفٌ يُقَرِّتُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَكَّنَكَ مِنْ عَدُوِّكَ - يَعْنِي: ابْنَ أَبِي دُوَادَ - وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْبَلُ مِنْكَ، فَلَا تَدَعُ شَيْئًا إِلَّا تَكَلَّمْتَ بِهِ.



فَمَا رَدَّ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَيْئًا، وَجَعَلْتُ أَنَا أَدْعُو لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ، وَدَعَوْتُ لَوْصِيفٍ، وَمَضِينَا، فَأُنزِلْنَا فِي دَارِ إِيْتَاخٍ،
وَلَمْ يَعْرِفْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، فَسَأَلَ بَعْدُ: لِمَنْ هَذِهِ الدَّارُ؟
قَالُوا: هَذِهِ دَارُ إِيْتَاخٍ.

فَقَالَ: حَوْلُونِي، اكْتَرُوا لِي دَارًا.
قَالُوا: هَذِهِ دَارٌ أَنْزَلَكَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.
قَالَ: لَا أَيْتُ هَا هُنَا.

وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اكْتَرَيْنَا لَهُ دَارًا، وَكَانَتْ تَأْتِينَا فِي كُلِّ يَوْمٍ
مَائِدَةٌ فِيهَا أَلْوَانٌ يَأْمُرُ بِهَا الْمُتَوَكَّلُ وَالثَّلْجُ وَالْفَاكِهَةُ وَغَيْرُ
ذَلِكَ، فَمَا ذَاقَ مِنْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَظَرَ إِلَيْهَا، وَكَانَ
نَفَقَةُ الْمَائِدَةِ فِي الْيَوْمِ مِائَةً وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا.

وَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكَّلُ بِمَالٍ عَظِيمٍ، فَرَدَّهُ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ
بْنُ يَحْيَى: فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَدْفَعَهَا إِلَيَّ وَلَدِكَ
وَأَهْلِكَ. قَالَ: هُمْ مُسْتَعْنُونَ.



فَرَدَّهَا عَلَيْهِ، فَأَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا عَلَى وَلَدِهِ، ثُمَّ
أَجْرَى الْمُتَوَكَّلُ عَلَى أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فِي كُلِّ شَهْرٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ،
فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّهُمْ فِي كِفَايَةٍ، وَلَيْسَتْ بِهِمْ حَاجَةٌ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكَّلُ: إِنَّمَا هَذَا لَوْلَدِكَ، فَمَا لَكَ وَلِهَذَا؟
فَأَمْسَكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، فَلَمْ يَزَلْ يُجْرِي عَلَيْنَا حَتَّى مَاتَ الْمُتَوَكَّلُ.

وَجَرَى بَيْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَبِي كَلَامٍ كَثِيرٌ، وَقَالَ: يَا
عَمَّ! مَا بَقِيَ مِنْ أَعْمَارِنَا؟ كَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ نَزَلَ، فَاللَّهُ اللَّهُ،
فَإِنَّ أَوْلَادَنَا إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَأْكُلُوا بَنَانًا، وَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ قَلِيلٌ،
وَإِنَّمَا هَذِهِ فِتْنَةٌ.

قَالَ أَبِي: فَقُلْتُ: أَرْجُو أَنْ يُؤْمِنَكَ اللَّهُ مِمَّا تَحْذَرُ. فَقَالَ:
كَيْفَ وَأَنْتُمْ لَا تَتْرَكُونَ طَعَامَهُمْ وَلَا جَوَائِزَهُمْ؟ لَوْ تَرَكْتُمُوهَا،
لَتَرَكُوكُمْ، مَاذَا نَنْتَظِرُ؟ إِنَّمَا هُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّمَا إِلَى جَنَّةٍ، وَإِنَّمَا
إِلَى نَارٍ، فَطُوبَى لِمَنْ قَدِمَ عَلَى خَيْرٍ.



وَبَلَغَ الْمُتَوَكَّلَ مَا هُوَ فِيهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ لَا يُرِيدُ الدُّنْيَا،
فَأَذِنَ لَهُ فِي الانْصِرَافِ، فَجَاءَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى وَوَقْتُ
العَصْرِ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَذِنَ لَكَ، وَأَمَرَ أَنْ يَفْرَشَ
لَكَ حَرَّاقَةً تَنْحَدِرُ فِيهَا.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: اطْلُبُوا لِي زَوْرَقًا أَنْحَدِرِ السَّاعَةَ. فَطَلَبُوا
لَهُ زَوْرَقًا، فَانْحَدَرَ لِي وَقْتِهِ.

قَالَ حَنْبَلٌ: فَمَا عَلِمْنَا بِقُدُومِهِ حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ قَدْ وَافَى.
فَأَسْتَقْبَلْتُهُ بِنَاحِيَةِ الْقَطِيعَةِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنَ الزَّوْرِقِ، فَمَشَيْتُ
مَعَهُ، فَقَالَ لِي: تَقَدَّمَ لَا يَرَاكَ النَّاسُ فَيَعْرِفُونِي، فَتَقَدَّمْتُهُ.

قَالَ: فَلَمَّا وَصَلَ أَلْقَى نَفْسَهُ عَلَى قَفَاهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْعِيَاءِ.

وَكَانَ رُبَّمَا اسْتَعَارَ الشَّيْءَ مِنْ مَنْزِلِنَا وَمَنْزِلِ وَلَدِهِ، فَلَمَّا
صَارَ إِلَيْنَا مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ مَا صَارَ، أَمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى
لَقَدْ وُصِفَ لَهُ فِي عِلَّتِهِ قَرَعَةٌ تُشَوِي، فَشُوِيَ فِي تَنُورِ صَالِحٍ،
فَعَلِمَ، فَلَمْ يَسْتَعْمِلْهَا وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ.



وَقَدْ ذَكَرَ صَالِحُ قِصَّةَ خُرُوجِ أَبِيهِ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَرُجُوعِهِ،
وَتَفْتِيْشِ بِيُوْتِهِمْ عَلَى الْعَلَوِيِّ، وَوُرُودِ يَعْقُوبَ بِالْبَدْرَةِ، وَأَنَّهُ
بَكَى، وَقَالَ: سَلِمْتُ مِنْهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ عُمْرِي،
بُلِيْتُ بِهِمْ، عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَنْ تُفَرِّقَهَا غَدًا. فَلَمَّا أَصْبَحَ، جَاءَهُ
حَسَنُ بْنُ الْبَزَّارِ، فَقَالَ: جِئَنِي يَا صَالِحُ بِمِيزَانٍ، وَجَّهُوا إِلَيَّ
أَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَإِلَى فُلَانٍ.

حَتَّى فَرَّقَ الْجَمِيعَ، وَنَحْنُ فِي حَالَةِ اللَّهِ بِهَا عَلِيمٌ، فَأَعْطَيْتُهُ.
فَكَتَبَ صَاحِبُ الْبَرِيدِ: إِنَّهُ تَصَدَّقَ بِالْكُلِّ لِيَوْمِهِ، حَتَّى

بِالْكَيْسِ!

فَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ، وَقَالَ: قَدْ أَمَرَ لَكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
بِعَشْرَةِ آلَافٍ مَكَانَ الَّتِي فَرَّقَهَا، وَأَنْ لَا يَعْلَمَ شَيْخُكُمْ بِذَلِكَ
فَيَغْتَمَّ.

وَأَمَرَ الْمُتَوَكَّلُ أَنْ تُشْتَرَى لَنَا دَارٌ، فَقَالَ: يَا صَالِحُ.

قُلْتُ: لِيَّكَ.



قَالَ: لئن أقررت لهم بشراء دار، لتكونن القطيعة بيني وبينكم، إنما يريدون أن يصيروا هذا البلد لي مأوى. فلم يزل يدافع بشراء الدار حتى اندفع.

وَجَعَلْتُ رُسُلَ الْمُتَوَكِّلِ تَأْتِيهِ يَسْأَلُونَهُ عَنْ خَبْرِهِ، وَيَرْجِعُونَ، فَيَقُولُونَ: هُوَ ضَعِيفٌ.

وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَرَاكَ.

وَجَاءَهُ يَعْقُوبُ، فَقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُشْتَاقٌ إِلَيْكَ، وَيَقُولُ: انْظُرْ يَوْمًا تَصِيرُ فِيهِ حَتَّى أَعْرِفَهُ. فَقَالَ: ذَاكَ إِلَيْكُمْ. فَقَالَ: يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَخَرَجَ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، جَاءَ، فَقَالَ: الْبُشْرَى يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: قَدْ أَعْفَيْتِكَ مِنْ لُبْسِ السُّودِ وَالرُّكُوبِ إِلَى وِلَاةِ الْعُهُودِ وَإِلَى الدَّارِ، فَالْبَسْ مَا شِئْتَ. فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ.



ثُمَّ قَالَ يَعْقُوبُ: إِنَّ لِي ابْنًا بِهِ مُعْجَبٌ، وَإِنَّ لَهُ فِي قَلْبِي مَوْعِظًا، فَأُحِبُّ أَنْ تُحَدِّثَهُ بِأَحَادِيثَ. فَسَكَتَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَ: أَتْرَاهُ لَا يَرَى مَا أَنَا فِيهِ؟!

وَكَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ مِنْ جُمُعَةٍ إِلَى جُمُعَةٍ، وَإِذَا خَتَمَ، دَعَا، وَنَحْنُ نُؤَمِّنُ، فَلَمَّا كَانَ غَدَاةَ الْجُمُعَةِ، وَجَّهَ إِلَيَّ وَإِلَى أَخِي. فَلَمَّا خَتَمَ، جَعَلَ يَدْعُو وَنَحْنُ نُؤَمِّنُ، فَلَمَّا فَرَغَ، جَعَلَ يَقُولُ: أَسْتَخِيرُ اللَّهَ مَرَّاتٍ. فَجَعَلْتُ أَقُولُ: مَا يُرِيدُ؟ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي أُعْطِيَ اللَّهَ عَهْدًا، إِنَّ عَهْدَهُ كَانَ مَسْئُورًا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ إِنِّي لَا أُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ تَمَامَ أَبَدًا حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ، وَلَا أَسْتَنِي مِنْكُمْ أَحَدًا.

فَخَرَجْنَا، وَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ، فَأَخْبَرَنَا، فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وَأَخْبَرَ الْمُتَوَكِّلُ بِذَلِكَ.

وَقَالَ: إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَحَدًا، وَيَكُونُ هَذَا الْبَلَدُ حَبْسِي،



وَإِنَّمَا كَانَ سَبَبَ الَّذِينَ أَقَامُوا بِهَذَا الْبَلَدِ لَمَّا أُعْطُوا فَاقْبَلُوا،
وَأْمُرُوا فَحَدِّثُوا، وَاللَّهِ لَقَدْ تَمَنَيْتُ الْمَوْتَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي
كَانَ، وَإِنِّي لَا تَمَنِّي الْمَوْتَ فِي هَذَا وَذَاكَ، إِنَّ هَذَا فِتْنَةُ الدُّنْيَا،
وَذَاكَ كَانَ فِتْنَةَ الدِّينِ.

ثُمَّ جَعَلَ يَضُمُّ أَصَابِعَهُ، وَيَقُولُ: لَوْ كَانَ نَفْسِي فِي يَدِي،
لَأَرْسَلْتُهَا. ثُمَّ يَفْتَحُ أَصَابِعَهُ.

وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ يُكْثِرُ السُّؤَالَ عَنْهُ، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ يَأْمُرُ
لَنَا بِالْمَالِ، وَيَقُولُ: لَا يَعْلَمُ شَيْخُهُمْ فَيَعْتَمُّ، مَا يُرِيدُ مِنْهُمْ؟
إِنْ كَانَ هُوَ لَا يُرِيدُ الدُّنْيَا، فَلِمَ يَمْنَعُهُمْ؟!

وَقَالُوا لِلْمُتَوَكِّلِ: إِنَّهُ لَا يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِكَ، وَلَا يَجْلِسُ
عَلَى فِرَاشِكَ، وَيُحَرِّمُ الَّذِي تَشْرَبُ. فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ: لَوْ نُشِرَ
لِي الْمُعْتَصِمُ، وَقَالَ فِيهِ شَيْئًا، لَمْ أَقْبَلُ مِنْهُ.

قَالَ صَالِحٌ: ثُمَّ انْحَدَرْتُ إِلَى بَغْدَادَ، وَخَلَفْتُ عَبْدَ اللَّهِ
عِنْدَهُ، فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ قَدْ قَدِمَ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ؟



قَالَ: أَمَرَنِي أَنْ أَنْحَدِرَ. وَقَالَ: قُلْ لِمَصَالِحٍ: لَا تَخْرُجْ، فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ أَفْتِي، وَاللَّهِ لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا أَخْرَجْتُ وَاحِدًا مِنْكُمْ مَعِي، لَوْلَاكُمْ لِمَنْ كَانَتْ تُوَضَعُ هَذِهِ الْمَائِدَةُ، وَتُفْرَشُ الْفُرُشُ، وَتُجْرَى الْأَجْرَاءُ؟ فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ أَعْلَمُهُ بِمَا قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ، فَكُتِبَ إِلَيَّ بِخَطِّهِ:

أَحْسَنَ اللَّهُ عَاقِبَتَكَ، وَدَفَعَ عَنْكَ كُلَّ مَكْرُوهِ وَمَحْذُورٍ، الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى الْكِتَابِ إِلَيْكَ الَّذِي قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ، لَا يَأْتِينِي مِنْكُمْ أَحَدٌ رَجَاءً أَنْ يَنْقَطِعَ ذِكْرِي وَيَخْمَلَ، وَإِذَا كُنْتُمْ هَاهُنَا، فَشَا ذِكْرِي، وَكَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْكُمْ قَوْمٌ يَنْقُلُونَ أَخْبَارَنَا، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا خَيْرٌ، فَإِنْ أَقَمْتَ فَلَمْ يَأْتِنِي أَنْتَ وَلَا أَخُوكَ، فَهُوَ رِضَائِي، وَلَا تَجْعَلْ فِي نَفْسِكَ إِلَّا خَيْرًا، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

قَالَ: وَلَمَّا سَافَرْنَا، رُفِعَتِ الْمَائِدَةُ وَالْفُرُشُ، وَكُلُّ مَا أُقِيمَ لَنَا.

قَالَ صَالِحٌ: وَبَعَثَ الْمُتَوَكِّلُ إِلَى أَبِي بِالْفِ دِينَارٍ لِيُقْسِمَ بِهَا، فَجَاءَهُ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ يَهَيِّئُ لَهُ



حَرَاقَةً، ثُمَّ جَاءَ عُبَيْدُ اللَّهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
قَدْ أَذِنَ لَكَ، وَأَمَرَ لَكَ بِهَذَا. فَقَالَ: قَدْ أَعْفَانِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
مِمَّا أَكْرَهُ. فَردَّهَا.

فَقَدِمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ قَالَ: يَا صَالِحُ.

قُلْتُ: لَبَّيْكَ.

قَالَ: أَحِبُّ أَنْ تَدَعَ هَذَا الرَّزْقَ، فَإِنَّمَا تَأْخُذُونَهُ بِسَبَبِي.
فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَا لَكَ؟

قُلْتُ: أَكْرَهُ أَنْ أُعْطِيَكَ بِلِسَانِي، وَأُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ،
وَلَيْسَ فِي الْقَوْمِ أَكْثَرُ عِيَالًا مِنِّي، وَلَا أَعْدُرُ، وَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو
إِلَيْكَ، وَتَقُولُ: أَمْرُكَ مُنْعِقِدٌ بِأَمْرِي، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَحُلَّ عَنِّي
هَذِهِ الْعُقْدَةَ، وَقَدْ كُنْتُ تَدْعُو لِي، فَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ
اسْتَجَابَ لَكَ.

فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ.

فَقُلْتُ: لَا!



قال: فَهَجَرْنَا أَبِي، وَسَدَّ الْأَبْوَابَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَتَحَامَى
مَنَازِلَنَا.

ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةً فِي دُعَائِهِ صَالِحًا، وَمُعَاتَبَتِهِ لَهُ، ثُمَّ فِي كِتَابَتِهِ
إِلَى يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ لِيَتْرَكَ مَعُونَةَ أَوْلَادِهِ، وَأَنَّ الْخَبَرَ بَلَغَ
الْمُتَوَكَّلَ، فَأَمَرَ بِحَمْلِ مَا اجْتَمَعَ لَهُمْ مِنْ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ إِلَيْهِمْ،
فَكَانَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

وَأَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَ بِذَلِكَ، فَسَكَتَ قَلِيلًا، وَأَطْرَقَ،
ثُمَّ قَالَ: مَا حِيلَتِي إِنْ أَرَدْتُ أَمْرًا، وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا؟
وَإِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ الْمُتَنَهَى فِي مَعْرِفَةِ السُّنَّةِ عِلْمًا وَعَمَلًا،
وَفِي مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ وَفُنُونِهِ، وَمَعْرِفَةِ الْفِقْهِ وَفُرُوعِهِ. وَكَانَ
رَأْسًا فِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَالْعِبَادَةِ وَالصَّدْقِ.

قال المروزي، قال لي أبو عبد الله: مَا كَتَبْتُ حَدِيثًا إِلَّا
وَقَدْ عَمِلْتُ بِهِ، حَتَّى مَرَّ بِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجَمَ
وَأَعْطَى أَبَا طَيْبَةَ دِينَارًا، فَاحْتَجَمْتُ وَأَعْطَيْتُ الْحَجَّامَ دِينَارًا.



وقال: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: مَنْ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ،
مَاتَ عَلَى خَيْرٍ؟ فَقَالَ: بَلْ مَاتَ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ.

وقال الميموني: قَالَ لِي أَحْمَدُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِيَّاكَ أَنْ
تَتَكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةٍ لَيْسَ لَكَ فِيهَا إِمَامٌ.

وقال الفضل بن زياد، سمعت أحمد بن حنبل يقول: مَنْ
رَدَّ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ.

وقال محمد بن إسماعيل الترمذي: كُنْتُ أَنَا وَأَحْمَدُ
بُنَ الْحَسَنِ التِّرْمِذِيُّ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ: يَا
أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، ذَكَرُوا لِابْنِ أَبِي قَتِيلَةَ بِمَكَّةَ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ،
فَقَالَ: أَصْحَابُ الْحَدِيثِ قَوْمٌ سَوْءٌ. فَقَامَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَنْفُضُ
ثَوْبَهُ، وَيَقُولُ: زَنْدِيقٌ زَنْدِيقٌ، وَدَخَلَ الْبَيْتَ.





وَمِنْ سِيرَتِهِ

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْمَيْمُونِيُّ: مَا رَأَيْتُ عِمَامَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَطُّ إِلَّا تَحْتَ ذَقْنِهِ، وَرَأَيْتُهُ يَكْرَهُ غَيْرَ ذَلِكَ.

وقال الميموني: ما أعلمُ أنني رأيتُ أحداً أنظفَ بدنًا، ولا أشدَّ تعاهدًا لنفسه في شاربِهِ وشعرِ رأسِهِ وشعرِ بدنِهِ، ولا أنقى ثوبًا بشدةِ بياضٍ من أحمد بن حنبلٍ رضي الله عنه.

وقال عاصم بن عاصم البيهقي: بتُّ ليلةً عند أحمد بن حنبلٍ، فجاءَ بماءٍ فوضعه، فلما أصبحَ نظرَ إلى الماءِ بحالِهِ، فقال: سبحان الله! رجلٌ يطلبُ العلمَ لا يكونُ له وردٌ بالليل.

وقال عبد الله: سمعتُ أبي يقول: ربَّما أردتُ البكورَ في الحديثِ، فتأخَّرتُ أمِّي بثوبي، وتقول: حتى يؤذنَ المؤذنُ.

قال الكديمي: حدَّثنا عليُّ بنُ المديني، قال لي أحمدُ بنُ حنبلٍ: إنِّي لأشتهي أن أصبحَ إلى مكة، وما يمنعني



إِلَّا خَوْفٌ أَنْ أَمْلِكَ أَوْ تَمَلِّنِي.

فَلَمَّا وَدَعْتُهُ، قُلْتُ: أَوْصِنِي.

قَالَ: اجْعَلِ التَّقْوَى زَادَكَ، وَانصِبِ الْآخِرَةَ أَمَامَكَ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ

وَالْمُحَدِّثِينَ، وَبَنِي هَاشِمٍ وَقُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ، يُقْبَلُونَ أَبِي،
بَعْضُهُمْ يَدُهُ، وَبَعْضُهُمْ رَأْسُهُ، وَيَعْظُمُونَهُ تَعْظِيمًا لَمْ أَرَهُمْ
يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ غَيْرِهِ، وَلَمْ أَرَهُ يَشْتَهِي ذَلِكَ.





وَمِنْ تَوَاضَعِهِ

قال أحمد بن الحسن الترمذي: رأيتُ أبا عبد الله يشتري
الخُبْزَ مِنَ السُّوقِ، وَيَحْمِلُهُ فِي الزَّنْبِيلِ، وَرَأَيْتُهُ يَشْتَرِي
الْبَاقِلَاءَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَيَجْعَلُهُ فِي خِرْقَةٍ، فَيَحْمِلُهُ.





وَمِنْ جِهَادِهِ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَجِ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
أَحْمَدَ يَقُولُ: خَرَجَ أَبِي إِلَى طَرْسُوسَ، وَرَابَطَ بِهَا، وَغَزَا.
وَقَالَ لِرَجُلٍ: عَلَيْكَ بِالشَّعْرِ، عَلَيْكَ بِقَرْوَيْنَ، وَكَانَتْ ثَغْرًا.





فَصْلٌ

قال الحسين بن إسماعيل: قال أبي: كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف يكتبون الحديث، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت.

وقال أبو بكر بن المطوعي: اختلفت إلى أبي عبد الله ثنتي عشرة سنة، وهو يقرأ (المسند) على أولاده، فما كتبت عنه حديثاً واحداً، إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه.

قال عبد الله بن محمد الوراق: كنت في مجلس أحمد بن حنبل، فقال: من أين أقبلتم؟

قلنا: من مجلس أبي كريب.

فقال: اكتبوا عنه، فإنه شيخ صالح.

فقلنا: إنه يطعن عليك.



فَقَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ حِيلَتِي؟ شَيْخٌ صَالِحٌ قَدْ بُلِيَ بِي.

قال أبو جعفر: كَانَ أَحْمَدُ مِنْ أَحْيَى النَّاسِ وَأَكْرَمِهِمْ،
وَأَحْسَنِهِمْ عَشْرَةَ وَأَدْبًا، كَثِيرَ الإِطْرَاقِ، لَا يُسْمَعُ مِنْهُ إِلاَّ
المُذَاكِرَةُ لِلْحَدِيثِ، وَذِكْرُ الصَّالِحِينَ فِي وَقَارٍ وَسُكُونٍ،
وَلَفْظٍ حَسَنٍ، وَإِذَا لَقِيَهِ إِنْسَانٌ، بَشَّ بِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَكَانَ
يَتَوَاضَعُ لِلشُّيُوخِ شَدِيدًا، وَكَانُوا يُعْظَمُونَهُ، وَكَانَ يَفْعَلُ
بِيحْيَى بْنِ مَعِينٍ مَا لَمْ أَرَهُ يَفْعَلُ بغيرِهِ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالتَّكْرِيمِ
وَالتَّبْجِيلِ، كَانَ يَحْيَى أَكْبَرَ مِنْهُ بِسَبْعِ سِنِينَ.

وقال عبد الله بن أحمد: كَانَ أَبِي إِذَا أَتَى البَيْتَ مِنَ
المَسْجِدِ، ضَرَبَ بِرِجْلِهِ حَتَّى يَسْمَعُوا صَوْتَ نَعْلِهِ، وَرُبَّمَا
تَنَحَّنَحَ لِيَعْلَمُوا بِهِ.

وقال عبدوس العطار: وَجَّهْتُ بِابْنِي مَعَ الجَارِيَةِ يُسَلِّمُ
عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَرَحَّبَ بِهِ، وَأَجْلَسَهُ فِي حَجْرِهِ، وَسَاءَ لَهُ،
وَاتَّخَذَ لَهُ خَيْصًا، وَقَالَ لِلجَارِيَةِ: كُلي مَعَهُ، وَجَعَلَ يُبْسِطُهُ.



وَقَالَ الْمَيْمُونِيُّ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَسَنَ الْخُلُقِ، دَائِمَ
الْبَشْرِ، يَحْتَمِلُ الْأَذَى مِنَ الْجَارِ.





مَعِيشَتُهُ

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: خَلَفَ لَهُ أَبُوهُ طَرْزاً وَدَاراً يَسْكُنُهَا،
فَكَانَ يَكْرِي تِلْكَ الطَّرْزَ، وَيَتَعَفَّفُ بِهَا.
قُلْتُ: وَرَبَّمَا نَسَخَ بِأُجْرَةٍ، وَرَبَّمَا عَمِلَ التَّكَاكَ، وَأَجَرَ
نَفْسَهُ لِجَمَّالٍ. رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ.





فَصْلٌ

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: مِنْ عَجِيبِ مَا سَمِعْتُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَحْدَاثِ الْجَهَّالِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لَيْسَ بِفَقِيهِ، لَكِنَّهُ مُحَدِّثٌ.

قَالَ: وَهَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ؛ لِأَنَّ لَهُ اخْتِيارَاتٍ بَنَاهَا عَلَى الْأَحَادِيثِ بِنَاءً لَا يَعْرِفُهُ أَكْثَرُهُمْ، وَرَبِّمًا زَادَ عَلَى كِبَارِهِمْ.

قُلْتُ: أَحْسِبُهُمْ يَظُنُّونَهُ كَانَ مُحَدِّثًا وَبَسْ! بَلْ يَتَخَيَّلُونَهُ مِنْ بَابَةِ مُحَدِّثِي زَمَانِنَا، وَوَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ فِي الْفِقْهِ خَاصَّةً رُتْبَةَ اللَّيْثِ، وَمَالِكِ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ، وَفِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ رُتْبَةَ الْفَضْلِ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ، وَفِي الْحِفْظِ رُتْبَةَ شُعْبَةَ، وَيَحْيَى الْقَطَّانِ، وَأَبْنِ الْمَدِينِيِّ، وَلَكِنَّ الْجَاهِلَ لَا يَعْلَمُ رُتْبَةَ نَفْسِهِ، فَكَيْفَ يَعْرِفُ رُتْبَةَ غَيْرِهِ.



فَصْلٌ

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: كَانَ الْإِمَامُ لَا يَرَى وَضَعَ الْكُتُبِ،
وَيَنْهَى عَنْ كِتَابَةِ كَلَامِهِ وَمَسَائِلِهِ، وَلَوْ رَأَى ذَلِكَ، لَكَانَتْ
لَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ، وَصَنَّفَ (الْمُسْنَدَ)؛ وَهُوَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ
حَدِيثٍ، وَكَانَ يَقُولُ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ: احْتَفِظْ بِهَذَا (الْمُسْنَدِ)،
فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، وَ(التَّفْسِيرَ) وَهُوَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ
أَلْفًا، وَ(النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ)، وَ(التَّارِيخَ)، وَ(حَدِيثَ شُعْبَةَ)،
وَ(المُقَدَّمَ وَالْمُؤَخَّرَ فِي الْقُرْآنِ)، وَ(جَوَابَاتِ الْقُرْآنِ)،
وَ(الْمَنَاسِكَ) الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ، وَأَشْيَاءَ أُخَرَ.

قُلْتُ: وَكِتَابَ (الإِيمَانِ)، وَكِتَابَ (الأَشْرِبَةِ)، وَرَأَيْتُ لَهُ
وَرَقَةً مِنْ كِتَابِ (الفَرَائِضِ).

وَتَفْسِيرُهُ الْمَذْكُورُ شَيْءٌ لَا وَجُودَ لَهُ، وَلَوْ وَجِدَ، لَاجْتَهَادَ
الْفُضَلَاءَ فِي تَحْصِيلِهِ، وَلَا شَيْهَرًا، ثُمَّ لَوْ أَلْفَ تَفْسِيرًا، لَمَا



كَانَ يَكُونُ أَزِيدَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ أَثَرٍ، وَلَا قُتِضِيَ أَنْ يَكُونَ فِي
خَمْسِ مُجَلَّدَاتٍ.

فَهَذَا (تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ) الَّذِي جَمَعَ فِيهِ فَأَوْعَى، لَا يَبْلُغُ
عِشْرِينَ أَلْفًا.

وَمَا ذَكَرَ (تَفْسِيرَ أَحْمَدَ) أَحَدٌ سِوَى أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ
الْمُنَادِيِّ، فَقَالَ فِي (تَارِيخِهِ): لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَرَوَى فِي الدُّنْيَا
عَنْ أَبِيهِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ؛ لِأَنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ (الْمُسْنَدَ) وَهُوَ
ثَلَاثُونَ أَلْفًا، وَ(التَّفْسِيرَ) وَهُوَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَلَهُ - يَعْنِي: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ - مِنْ
المُصَنَّفَاتِ: كِتَابُ (نَفْيِ التَّشْبِيهِ) مُجَلَّدَةٌ، وَكِتَابُ (الإِمَامَةِ)
مُجَلَّدَةٌ صَغِيرَةٌ، وَكِتَابُ (الرَّدُّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ) ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ،
وَكِتَابُ (الرُّهْدِ) مُجَلَّدٌ كَبِيرٌ، وَكِتَابُ (فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ)
مُجَلَّدَةٌ، وَكِتَابُ (الرِّسَالَةِ فِي الصَّلَاةِ) - قُلْتُ: هُوَ مَوْضُوعٌ
عَلَى الإِمَامِ.



وَقَدْ دَوَّنَ عَنْهُ كِبَارُ تَلَامِذَتِهِ مَسَائِلَ وَافِرَةً فِي عِدَّةِ مُجَلَّدَاتٍ،
كَالْمَرْوُذِيِّ، وَالْأَثْرَمِ، وَحَرْبِ، وَابْنِ هَانِيٍّ، وَالْكَوَسَجِ، وَأَبِي
طَالِبِ، وَفُورَانَ، وَمُهَنَّأَ الشَّامِيِّ، وَصَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ، وَأَخِيهِ،
وَابْنِ عَمَّهَمَا؛ حَنْبَلٌ (١).

وَجَمَعَ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ سَائِرَ مَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ أَقْوَالِ
أَحْمَدَ، وَفَتَاوِيهِ، وَكَلَامِهِ فِي الْعِلَلِ وَالرِّجَالِ وَالسُّنَّةِ وَالْفُرُوعِ،
حَتَّى حَصَلَ عِنْدَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يُوصَفُ كَثْرَةً.

وَرَحَلَ إِلَى النَّوَاحِي فِي تَحْصِيلِهِ، وَكَتَبَ عَنْ نَحْوِ مِنْ
مِائَةِ نَفْسٍ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ.

ثُمَّ كَتَبَ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ عَنْ أَصْحَابِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ أَخَذَ
فِي تَرْتِيبِ ذَلِكَ وَتَهْدِيئِهِ، وَتَبْوِيئِهِ.

وَعَمِلَ كِتَابَ (الْعِلْمِ)، وَكِتَابَ (الْعِلَلِ)، وَكِتَابَ

(١) ذكر المؤلف (الذهبي) خمسين ممن دَوَّنَ مسائل أحمد، رحمة الله عليهم.



(السُّنَّةُ)، كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ فِي ثَلَاثِ مُجَلَّدَاتٍ. وَأَلَّفَ
كِتَابَ (الْجَامِعِ) فِي بَضْعَةِ عَشْرٍ مُجَلَّدَةً، أَوْ أَكْثَرَ.

وَقَدْ قَالَ: فِي كِتَابِ (أَخْلَاقِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ) لَمْ يَكُنْ
أَحَدٌ فِيمَا عَلِمْتُ عُنِيَ بِمَسَائِلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَطُّ، مَا عُنِيَْتُ بِهَا
أَنَا.

وَمَوْلِدُ الْخَلَالِ كَانَ فِي حَيَاةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، يُمَكِّنُ أَنْ
يَكُونَ رَأَاهُ وَهُوَ صَبِيٌّ.





زُوجَاتُ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَآلِهِ

قَالَ زُهَيْرُ بْنُ صَالِحٍ: تَزَوَّجَ جَدِّي بِأُمِّ أَبِي عَبَّاسَةَ، فَلَمَّ يُوَلِّدْ لَهُ مِنْهَا سِوَى أَبِي، ثُمَّ تُوفِّيتُ، ثُمَّ تَزَوَّجَ بَعْدَهَا رَيْحَانَةَ -امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ- فَمَا وَلَدَتْ لَهُ سِوَى عَمِّي عَبْدِ اللَّهِ.

قَالَ الْمَرْوُذِيُّ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ذَكَرَ أَهْلَهُ، فَتَرَحَّمْ عَلَيْهَا، وَقَالَ: مَكُنَّا عِشْرِينَ سَنَةً، مَا اخْتَلَفْنَا فِي كَلِمَةٍ.

وَقَالَ زُهَيْرٌ: لَمَّا تُوفِّيتُ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ، اشْتَرَى جَدِّي حُسْنَ، فَوَلَدَتْ لَهُ أُمَّ عَلِيٍّ زَيْنَبَ، وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ تَوَامًا، وَمَاتَا بِالْقُرْبِ مِنْ وِلَادَتِهِمَا، ثُمَّ وَلَدَتِ الْحَسَنَ وَمُحَمَّدًا، فَعَاشَا نَحْوَ الْأَرْبَعِينَ، وَوَلَدَتْ بَعْدَهُمَا سَعِيدًا.

وَكَانَ أَسَنُ بَنِي أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ صَالِحٌ، فَوَلِيَ قِضَاءَ أَصْبَهَانَ، وَمَاتَ بِهَا سَنَةً خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، عَنْ نَيْفٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.



وَأَمَّا الْوَلَدُ الثَّانِي، فَهُوَ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ أَحْمَدَ، رَاوِيَةٌ أَبِيهِ، مِنْ كِبَارِ الْأُمَّةِ، مَاتَ سَنَةَ تِسْعِينَ
وَمِائَتَيْنِ، عَنْ سَبْعِ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَلَهُ تَرْجَمَةٌ أُفْرِدْتُهَا.

وَالْوَلَدُ الثَّلَاثُ سَعِيدُ بْنُ أَحْمَدَ، فَهَذَا وُلِدَ لِأَحْمَدَ قَبْلَ
مَوْتِهِ بِخَمْسِينَ يَوْمًا، فَكَبِرَ وَتَفَقَّهَ، وَمَاتَ قَبْلَ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ.

وَأَمَّا حَسَنٌ وَمُحَمَّدٌ وَزَيْنَبُ، فَلَمْ يَبْلُغْنَا شَيْئًا مِنْ
أَحْوَالِهِمْ، وَانْقَطَعَ عَقْبُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِيمَا نَعْلَمُ.





مَرَضُهُ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: اسْتَكْمَلْتُ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَدَخَلْتُ فِي ثَمَانِ.

وَقَالَ صَالِحٌ: لَمَّا كَانَ أَوَّلُ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، حُمَّ أَبِي لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَاتَ وَهُوَ مَحْمُومٌ، يَتَنَفَّسُ تَنَفُّسًا شَدِيدًا.

وَكَثَرَ النَّاسُ، فَقَالَ: فَمَا تَرَى؟

قُلْتُ: تَأْذَنُ لَهُمْ، فَيَدْعُونَ لَكَ. قَالَ: أَسْتَخِيرُ اللَّهَ.

فَجَعَلُوا يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ أَفْوَاجًا، حَتَّى تَمْتَلَى الدَّارُ، فَيَسْأَلُونَهُ، وَيَدْعُونَ لَهُ، وَيَخْرُجُونَ، وَيَدْخُلُ فَوْجٌ، وَكَثُرَ النَّاسُ، وَامْتَلَأَ الشَّارِعُ، وَأَغْلَقْنَا بَابَ الزُّقَاقِ، وَجَاءَ جَارٌ لَنَا قَدْ خَضَبَ، فَقَالَ أَبِي: إِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ يُحْيِي شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ، فَأَفْرَحُ بِهِ.



فَقَالَ لِي: وَجَّهَ فَاشْتَرِ تَمْرًا، وَكَفَّرْ عَنِّي كَفَّارَةَ يَمِينٍ.

وَكُنْتُ أَنَامُ إِلَى جَنْبِهِ، فَإِذَا أَرَادَ حَاجَةً، حَرَّكَنِي فَأَنَاوِلُهُ،
وَجَعَلَ يُحَرِّكُ لِسَانَهُ، وَلَمْ يَزَلْ يُصَلِّي قَائِمًا، أُمْسِكُهُ فَيَرْكَعُ
وَيَسْجُدُ، وَأَرْفَعُهُ فِي رُكُوعِهِ.

قَالَ: وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ أَوْجَاعُ الْحَضَرِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَلَمْ
يَزَلْ عَقْلُهُ ثَابِتًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَّتْ
مِنْ رَيْبِيعِ الْأَوَّلِ، لِسَاعَتَيْنِ مِنَ النَّهَارِ، تُؤَفِّي.

وَقَالَ الْمَرْوُذِيُّ: مَرَضَ أَحْمَدُ تِسْعَةَ أَيَّامٍ، وَكَانَ رُبَّمَا أَدِنَ
لِلنَّاسِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِ أَفْوَاجًا، يُسَلِّمُونَ وَيَرُدُّونَ بِيَدِهِ، وَتَسَامَعُ
النَّاسُ وَكَثُرُوا.

وَسَمِعَ السُّلْطَانَ بِكَثْرَةِ النَّاسِ، فَوَكَّلَ السُّلْطَانُ بِبَابِهِ
وَبِبَابِ الزُّقَاقِ الرَّابِطَةَ وَأَصْحَابَ الْأَخْبَارِ، ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَ
الزُّقَاقِ، فَكَانَ النَّاسُ فِي الشُّوَارِعِ وَالْمَسَاجِدِ، حَتَّى تَعَطَّلَ
بَعْضُ الْبَاعَةِ.



وَجَاءَهُ حَاجِبُ ابْنِ طَاهِرٍ، فَقَالَ: إِنَّ الْأَمِيرَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ،
وَهُوَ يَشْتَهِي أَنْ يَرَكَ.

فَقَالَ: هَذَا مِمَّا أَكْرَهُ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَعْفَانِي مِمَّا أَكْرَهُ.

وَجَاءَ بَنُو هَاشِمٍ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، وَجَعَلُوا يَبْكُونَ عَلَيْهِ.

وَجَاءَ قَوْمٌ مِنَ الْقُضَاةِ وَغَيْرِهِمْ، فَلَمْ يُؤْذَنَ لَهُمْ.

وَدَخَلَ عَلَيْهِ شَيْخٌ، فَقَالَ: اذْكُرْ وَقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ.

فَشَهَقَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَسَالَتْ دُمُوعُهُ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ

بِیَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، قَالَ: ادْعُوا لِي الصَّبِيَانَ بِلِسَانٍ ثَقِيلٍ.

قَالَ: فَجَعَلُوا يَنْضَمُّونَ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ يَشْمُهُمْ وَيَمْسَحُ

رُؤُوسَهُمْ، وَعَيْنُهُ تَدْمَعُ.

وَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَوَضَّاعُهُ، فَقَالَ: خَلَّلِ

الْأَصَابِعَ.

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ، ثَقُلَ، وَقَبِضَ صَدْرَ النَّهَارِ،

فَصَاحَ النَّاسُ، وَعَلَّتِ الْأَصْوَاتُ بِالْبَكَاءِ، حَتَّى كَأَنَّ الدُّنْيَا قَدِ



ارْتَبَحْتُ، وَامْتَلَأْتُ السُّكَّ وَالشَّوَارِعُ.

قال المروزي: فأخرجت الجنازة بعد منصرف الناس من الجمعة.

قال صالح بن أحمد: وجه ابن طاهر - يعني: نائب بغداد - بحاجبه مظفر، ومعه غلامان معهما مناديل فيها ثياب وطيب، فقالوا: الأمير يقرئك السلام، ويقول: قد فعلت ما لو كان أمير المؤمنين حاضره كان يفعله.

فقلت: أقرئ الأمير السلام، وقل له: إن أمير المؤمنين قد أعفى أبا عبد الله في حياته مما يكره، ولا أحب أن أتبعه بعد موته بما كان يكرهه.

فعاد، وقال: يكون شعاره، فأعدت عليه مثل قولي.

وقد كان غزلت له الجارية ثوباً عشاريًا قوم بثمانية وعشرين درهماً، ليقطع منه قميصين، فقطعنا له لفافتين، وأخذنا من فوران لفافة أخرى، فأدرجناه في ثلاث لفائف.



وَأَشْتَرَيْنَا لَهُ حَنُوطًا، وَفُرِغَ مِنْ غَسَلِهِ، وَكَفَّنَاهُ، وَحَضَرَ
نَحْوُ مِائَةٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَنَحْنُ نَكْفِنُهُ، وَجَعَلُوا يُقْبَلُونَ
جَبْهَتَهُ حَتَّى رَفَعْنَاهُ عَلَى السَّرِيرِ.

قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقُ: مَا بَلَّغْنَا أَنْ جَمَعًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ
وَلَا الْإِسْلَامِ مِثْلُهُ - يَعْنِي: مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ - حَتَّى بَلَّغْنَا أَنْ
الْمَوْضِعَ مُسَحَّ وَحُزِرَ عَلَى الصَّحِيحِ، فَإِذَا هُوَ نَحْوُ مِنْ أَلْفِ
أَلْفٍ (١).

قَالَ مُوسَى بْنُ هَارُونَ الْحَافِظُ: يُقَالُ: إِنَّ أَحْمَدَ لَمَّا مَاتَ،
مُسِحَتْ الْأَمْكِنَةُ الْمَبْسُوطَةُ الَّتِي وَقَفَ النَّاسُ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهَا،
فَحُزِرَ مَقَادِيرُ النَّاسِ بِالْمَسَاحَةِ عَلَى التَّقْدِيرِ سِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ
أَوْ أَكْثَرَ، سِوَى مَا كَانَ فِي الْأَطْرَافِ وَالْحَوَالِي وَالسُّطُوحِ
وَالْمَوَاضِعِ الْمُتَفَرِّقَةِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ.

(١) يعني مليون رجل، وهذا عدد الذين شهدوا جنازة الإمام أحمد.



وَفَتَحَ النَّاسُ أَبْوَابَ الْمَنَازِلِ فِي الشَّوَارِعِ وَالدَّرُوبِ،
يُنَادُونَ مَنْ أَرَادَ الْوُضُوءَ.

قَالَ الْخَلَّالُ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي صَالِحِ الْقَنْطَرِيِّ يَقُولُ:
شَهِدْتُ الْمَوْسِمَ (الْحَجَّ) أَرْبَعِينَ عَامًا، فَمَا رَأَيْتُ جَمْعًا
قَطُّ مِثْلَ هَذَا. يَعْنِي: مَشْهَدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

تَمَّ مُخْتَصَرُ سِيرَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ





الفهرس

٢	■ الإمام أحمد بن حنبل
٣	■ شيوخه
٥	■ صفته
١٤	■ فصل في فضله وتألهه وشمانله
١٧	■ ومن آدابه
٢٠	■ ومن سيرته
٢٨	■ المحنة
٥٩	■ محنة الواثق
٦٢	■ فصل في حال الإمام في دولة المتوكل
٧٨	■ ومن سيرته
٨٠	■ ومن تواضعه
٨١	■ ومن جهاده
٨٢	■ فصل
٨٥	■ معيشته
٨٦	■ فصل



- فَصْلٌ ٨٧
- زَوَّجَاتُ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَأُثْرُهُ ٩١
- مَرَضُهُ ٩٣
- الفهرس ٩٩



التصميم الداخلي للكتاب

TharwatSultan@yahoo.com

Tharwat Sultan

للتواصل: 00201019530152